بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة السودان للعلوم والتكنلوجيا

كلية الدراسات العليا

قسم العمارة والتخطيط

بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في التصميم الحضري بعنوان:

الأثر المتبادل بين البيئة العمرانية وثقافة ساكنيها

(حالة دراسية القرية 12 بحلفا الجديدة)

The mutual effect between the urban environment and the Culture of its residents.

(Study case the village No 12 in new Halfa)

إعداد:

رماز موسى محمد صالح.

إشراف:

د. عثمان محمد الخير.

يناير – 2020

إهداء :

- إلى شهداء بلادي كافة، ولكل من جاهد ظلماً أو فسادا.
- إلى أبي ثم إلى أبي –رحمه الله– من زرع فينا حب المعرفة وحب النوبة.
- إلى أمي فما بي من نعمة فهي–بعد الله– منها.
- إلى جدتي التي لم تزل تُلح علي حتى أكملت البحث.
- إلى إخوتي فإنما أنا بهم.
- إلى صدام سكني وآية الله لي.
- إلى صديقتي سحر الفاتح من أهدتني (الفردوس المفقود).
- إلى النوبيين جميعاً.
- ولكل مهتم بالعمارة والعمران.

شكر وعرفان:

أتقدم بالشكر الجزيل لمشرفي د.عثمان الخير على نصحه وتوجيهه وإشرافه، و لـ د. سليم الزين بجامعة المغتربين ود. الطيب إدريس القوني بجامعة المستقبل الّذين منحاني من وقتهما الكثير، كما أتقدم بالشكر للزميلتين ريماز أحمد من جامعة السودان وتسابيح آدم من جامعة الخرطوم لما قدمتاه لي من عون.

والشكر كذلك للأستاذ سمير بكاب الذي أمدني بما لديه من مراجع بل وتفضل بأن أحضرها إلي بنفسه بدلاً من ذهابي أنا إليه!، والشكر موصول للسيد أبوبكر سيد أحمد الذي تواصلت معه عبر تطبيق فيسبوك ولم يبخل بما لديه من معلومات، وللأستاذة أماني محمد حسين وجميع العاملين بدار الوثائق القومية لدعمهم وعونهم.

كما لا تفي كلمات الشكر بما قدمه لي الأستاذ شرف عبد الجابر وأسرته الكريمة من مساعدة لولاها لما كان لهذا البحث أن يكتمل؛ ابتداءً من استضافتهم إياي في دارهم العامرة بكرم فيّاض، مروراً بمرافقته لي خلال المقابلات رغم أزمة الوقود الحادة التي عانت منها مدينة حلفا إذ ذاك، وانتهاءً بتذكرة عودتي إلى الخرطوم التى أصرّ هو على دفع تكلفتها.

ولايفوتني أن أشكر أهالي القرية 12 بحلفا الجديدة خاصة الأستاذين حمدي دهب وعبد الله محمد خليل، ولمشرف مجموعة شباب القرية 12 على الفيسبوك ولكافة أعضاء المجموعة، مع شكري الموصول لكل من منحني وقته لأجري معه مقابلة او التقط صورة وهم العم محمد عبدو وحرمه المصون والأستاذ ماهر إبراهيم الشيخ وأسرته الكريمة والعم جمال محمد صالح وابنته، والعم محي الدين محمد (بابا) وابنته، والعم فوزي صادق محمد وابنه وزوجته، وللمعمارية فاطمة محمد التي أسعفتني بارسال ما فاتني تحصيله من معلومات لضيق الوقت ولسوء الأحوال الجوية حينها.

كما اتقدم بالشكر للزميلة إيمان الطيب الامين بإدارة التخطيط، ولمهندسي إدارة المساحة بمدينة حلفا الجديدة، ولصديقتي تسنيم ابراهيم من القرية 1، وللصديقات ريم محمد، شادن طارق، سماح عابدون، ورغدة عثمان، ولأخي محمد الذي ساعد في حل المشاكل التقنية التي واجهتني، ولأخويّ عمرو وعمار لإتاحتهما استخدام كاميرا هاتفيهما وتصوير ما طلبت، ولكل من أسهم في إكمال هذا البحث، أو دعا لي بالتوفيق فيه، أو صبر على ضرٍّ مسّه جراء انشغالي باكماله، والشكر لله تعالى من قبل ومن بعد، والحمد لله رب العالمين.

مستخلص الدراسة:

تناقش هذه الدراسة الأثر المتبادل بين البيئات العمرانية وثقافة المجتمعات التي تستوطنها، حيث تهدف إلى فهم طبيعة ذلك الأثر المتبادل من خلال دراسة العلاقة بين المجتمع المهجّر بالقرية 12 بحلفا الجديدة وبيئتيه اللتين استوطنهما(بيئة تقليدية قبل التهجير ببحلفا القديمة، وبيئة مخططة بعد التهجير بحلفا الجديدة)، كما تهدف لرصد الأثر الثقافي الناتج عن تبدل البيئة العمرانية على ذلك المجتمع، ولتحقيق تلك الاهداف اتبع الباحث المنهج الاستقرائي التحليلي في الجانب النظري من الدراسة كما استخدم المنهج التاريخي والوصفي في دراسة الحالة، ثم استخدم الباحث الدراسات السببة المقارنة لتحليل التغيرات التي قام المجتمع بإحداثها في بيئته المخططة لتتوافق مع ثقافته، وتحليل ما إن كانت تلك التغييرات التي أُجريت تدعم عناصر رابوبورت الخمس (الاحتياجات الاساسية، تكوين العائلة، الخصوصية، التواصل الاجتماعي، عزل النساء) كنواة ثقافية لذلك المجتمع أم لا.

وقد قُسمت الدراسة إلى أربعة فصول رئيسية تناول الباحث في أولها الإطار العام للدراسة، بينما ناقش في الفصل الثاني الاطار النظري من خلال أربعة أقسام تناول قيها الباحث ما يتعلق بمفهومي البيئة العمرانية والثقافة والنظريات التي تناولت العلاقة بينهما، كما جاء في ذات الفصل عرض للثقافة النوبية والعمران النوبي تمهيداً لدراسة الحالة في الفصل الثالث، بينما احتوى فصل الدراسة الرابع على نتائج الدراسة وتوصياتها.

توصلت الدراسة إلى أن تصميم مساكن وقرى إعادة التوطين تسبب في اندثار العديد من العادات لدى المجتمعات المُهجرة، كما أنه لم يدعم العناصر الثقافية النووية للمهجرين، وقد قام السكان بإحداث العديد من التغييرات على مستوى القرية أو المساكن حتى تتواءم تصاميمها مع أسلوب حياتهم المعتاد وفق ثقافتهم المتوارثة.

ABSTRACT

This study discusses the mutual impact between the urban environments and the culure of the communities they inhabit, it aims to understand the nature of this mutual effect by studying the relationship between the displaced community in village 12 in New Halfa and its two environments (A traditional environment before displacement, Aplanned environment after displacement). It also aims to observe the cultural impact of the changing urban environment on that community. to achieve that goals, the researcher followed the analytical inductive approach in the theoretical side of the study, and the historical and descriptive method in the case study, then he used the comparative causal studies to analyze the changes that the society make in his planned environment to conform to his culture, and to analyze whether those changes that occurred support the five Rapobort elements as the cultural nucleus of that community or not.

The study was presented into four main chapters; the first chapter contained the general study framework, while the second chapter discussed the theoretical framework of the study through four sections, In which the researcher dealt with the concepts of the urban environment and culture, The theories about relationship between them, and the last section of the second chapter presented elements of the Nubian culture and Nubian architecture. The third chapter contained the field work, while the last chapter included the study results and the recommendations.

The study concluded that, the design of resettlement villages and houses caused the extinction of many habits of the displased communities, and it did not support the core culture elements of them. And the residents have made many changes at their villages and houses to suit their lifestyle in conformity with their cultural backgrounds.

قائمة المحتويات:

الفصل الأول: الإطار العام للدراسة 1

1.1 تمهيد: 2

1.2 مشكلة البحث: 2

1.3 أهمية البحث: 4

1.4 أهداف الدراسة: 5

1.5 فرضيات البحث: 5

1.6 مناهج البحث: 5

1.7 أدوات جمع المعلومات: 6

1.7.1 الجانب النظري من الدراسة: 6

1.7.2 العمل الميداني: 6

1.8 حدود الدراسة: 7

1.8.1 حدود مكانية: 7

1.8.2 حدود زمانية: 7

1.8.3 حدود علمية: 7

1.9 هيكل الدراسة: 8

1.10 صعوبات اعترضت مسار البحث: 9

الفصل الثاني: الدراسة النظرية 10

2.1 البيئة العمرانية 11

2.1.1 مفهوم البيئة: 11

2.1.2 مفهوم العمران: 11

2.1.3 مفهوم البيئة العمرانية: 12

2.1.4 أنواع البيئآت العمرانية: 14

2.1.5 مكونات البيئة العمرانية: 16

2.1.6 العوامل المؤثرة على تشكيل البيئة العمرانية: 17

2.1.7 خلاصة القسم الأول من الدراسة النظرية: 17
2.2 الثقافة والمجتمع: 18
2.2.1 تعريف الثقافة: 18
2.2.2 أنماط الثقافة: 20
2.2.3 عناصر الثقافة : 22
2.2.3.3 اللغة: 24
2.2.3.4 العادات والتقاليد: 25
2.2.3.5 القيم: 25
2.2.4 الثقافة والمجتمع: 27
2.2.5 التغيرات الثقافية: 27
2.2.6 خلاصة القسم الثاني من الدراسة النظرية: 32
2.3 العلاقة التبادلية بين ثقافة المجتمع وبيئته العمرانية: 33
2.3.1 مدخل: 33
2.3.2 الثقافة الانسانية والبيئة : 33
2.3.3 نظرية رابوبورت (الثبات والتغير): 36
2.3.4 العوامل الثقافية المؤثرة على عملية التشكيل البنائي: 37
2.3.5 خلاصة القسم الثالث من الدراسة النظرية: 42
2.4 الثقافة النوبية والعمران النوبي: 43
2.4.1 موقع بلاد النوبة: 43
2.4.2 أصل النوبيين: 45
2.4.3 اللغة النوبية: 45
2.4.4 الإقتصاد والمجتمع النوبي: 46
2.4.5 تهجير النوبيين: 47
2.4.6 تصميم القرى النوبية: 48

2.4.7 المنزل النوبي: 52
2.4.8 الدراسات المشابهة: 62
2.4.9 خلاصة القسم الرابع من الدراسة النظرية: 64
الفصل الثالث: الحالة الدراسية 65
3.1 الأساسيات: 66
3.1.1 أسباب اختيار الحالة الدراسية وعينات المنازل: 66
3.1.2 تعريف بمنطقتي الدراسة: 67
3.1.3 موجهات أساسية لدراسة الحالة مستقاة من الدراسة النظرية في الفصل السابق: 69
3.1.4 المنهجية المتبعة لدراسة الحالة: 69
3.1.5 الأسئلة الأساسية المطروحة لدراسة الحالة: 70
3.2 قرية اشكيت: 71
3.2.1 مدخل: 71
3.2.2 أسلوب الحياة في قرية اشكيت: 71
3.2.3 تصميم قرية اشكيت: 73
3.2.4 ارتباط تصميم القرية بثقافة السكان: 75
3.2.5 المنازل بقرية اشكيت: 78
3.2.6 ارتباط تصميم منازل اشكيت بثقافة السكان: 78
3.3 القرية 12 بحلفا الجديدة: 83
3.3.1 تصميم القرية 12: 83
3.3.2 منازل القرية 12: 84
3.4 المقارنة والتحليل: 84
3.4.1 مقارنة تصميم القرية 12 بقرية اشكيت: 84
3.4.2 أسلوب حياة السكان الحالي: 103
3.4.3 مقارنة عوامل رابوبورت الثقافية الخمس بين تصميم القرية 12 وتصميم قرية اشكيت: 105

3.4.4 مقارنة عوامل رابوبورت الثقافية الخمس بين تصميم منازل القرية 12 إبّان التهجير وتصميمها في اشكيت: .105
3.5 خلاصة الفصل:.....107
الفصل الرابع: النتائج والتحليل والنقاش..... 108
الفصل الخامس: خلاصة الدراسة وتوصياتها 114
5.1 خلاصة الدراسة:.....115
5.2 توصيات الدراسة: 115
5.2.1 توصيات موجهة للعاملين في مجال العمران (المدرسين والباحثين والمصممين):.....115
5.2.2 توصيات للجهات الحكومية:.....116
5.2.3 توصيات لسكان المنطقة: 116
المراجع:.....117
الكتب والأبحاث والأوراق العلمية العربية: 117
الكتب والأبحاث والأوراق العلمية الأجنبية:.....119
التقارير : 120
المواقع الإلكترونية:.....120
المقابلات: 121

1. قائمة الصور:

رقم الصورة	المحتوى	رقم الصفحة
2.1.1	تباين الأنماط العمرانية.	17
2.2.1	الأهلة في عمارة المساجد ورمزيتها للتوقيت الإسلامي.	23
2.2.2	مستعمرة لقبائل الماساي.	23
2.3.1	نموذج للاستيطان البشري في العصر الحجري الحديث.	33
2.3.2	نموذج للاستيطان البشري في العصر الحجري القديم.	33
2.3.3	الجلوس خارج المنزل لدى قبائل الماساي.	39
2.3.4	مسارات الحركة المنفصلة بمدينة غدامس.	41
2.3.5	عبور انساء للطريق العلوي المخصص لهن بمدينة غدامس.	41
2.3.6	المسكن الريفي بدلتا مصر وهو يطل على الشارع بواجهات صماء.	41
2.4.1	التوزيع المتدرج للمساكن تماشياً مع انحدار الأرض في إحدى القرى غرب أسوان.	49
2.4.2	استخدام أجزاء النخيل المختلفة لصنع الأثاثات في النوبة قبل التهجير.	50
2.4.3	استخدام جذوع وسعف النخيل لعمل أسقف الفراغات في النوبة قبل التهجير.	50
2.4.4	نموذج لبوابة وواجهة منزل نوبي جنوب وادي حلفا.	53
2.4.5	الدور الإجتماعي للمساطب الطينية أمام الدور في النوبة قبل التهجير.	54
2.4.6	الدور الاجتماعي للمساطب الطينية أمام الدور في النوبة قبل التهجير.	54
2.4.7	الديواني بأحد منازل منطقة وادي حلفا قبل التهجير.	56
2.4.8	الزخارف على جدران الديواني بأحد منازل وادي حلفا قبل التهجير.	56
2.4.9	تناول الرجال النوبيين لطعامهم وهم جلوس على الأرض.	57
2.4.10	عمل المرأة النوبية في صناعة البروش.	58

2.4.11	النساء النوبيات يعملن بجانب الرجال في حراثة الحقول.	58
2.4.12	فتاتان نوبيتان ترعيان الماعز.	59
2.4.13	جلب الفتيات الماء من النهر.	59
3.2.1	الواجهات الممتدة بإحدى قرى وادي حلفا قبل الغرق.	75
3.2.2	واجهة مربوع مكون من منزلين متلاصقين بوادي حلفا قبل الغرق.	75
3.2.3	لعب الأطفال على المسطبة الطينية لاحدى الدور بقرية اشكيت.	77
3.2.4	لعب الأطفال بأمان في أحد شوارع اشكيت.	77
3.2.5	صلاة العيد على الرمال باحدى القرى النوبية.	78
3.2.6	تناول الطعام في إحدى دور الضيافة بالنوبة القديمة.	78
3.2.7	صحاف الطعام التي تخرج من منازل القرية في المناسبات المختلفة.	78
3.2.8	جلسة لإحدى الأسر النوبية قبيل التهجير.	78
3.2.9	امرأة تجلس أرضاً بإحدى منازل اشكيت.	80
3.2.10	زخارف الديواني بأحد منازل اشكيت.	81
3.2.11	طحن النساء النوبيات لحبوب القمح.	82
3.2.12	استخدام الفناء الوسطي كامتداد للمطبخ من قبل النساء في النوبة القديمة.	82
3.2.13	وقوف الحيوانات داخل منزل أحدى الأسر المهجرة.	88
3.2.14	ماعز تتجول بحرية داخل أحد منازل المهجرين.	88
3.2.15	اجتماع النساء لجلب الماء من داخل إحدى القرى في حلفا الجديدة.	88
3.2.16	صورة توضح قلة عدد حجرات المنزل بالنسبة لساكني الدار.	89
3.2.17	صورة توضح قلة عدد حجرات المنزل بالنسبة لساكني الدار.	89
3.2.18	استخدام المظلات في القرية 12 في المناسبات المختلفة ولتناول الوجبات.	90

3.2.19	استخدام الأشجار كأماكن للتواصل الإجتماعي.	91
3.2.20	صور متفرقة من منزل أسرة جمال محمد.	96
3.2.21	بوابة منزل أسرة الأستاذ ماهر.	98
3.2.22	مناظير مختلفة لمنزل السيد محي الدين محمد.	100
3.2.23	مناظير مختلفة من منزل السيد فوزي صادق.	102
3.2.24	محاولات حماية المنزل من السطو عبر وضع الزجاج المكسور أعلى السور.	104
3.2.25	صلاة العيد في القرية 12 ومواكب المدائح.	104

2. قائمة الجداول:

رقم الجدول	موضوع الجدول	رقم الصفحة
2.1.1	الفروقات بين البيئة العمرانية التقليدية والبيئة العمرانية المخططة.	15
2.2.1	آراء بعض المفكرين والنقاد حول مفهوم الثقافة.	18
2.4.1	نتائج استبيان لتحديد الروابط التي تربط سكان منطقة وادي حلفا قبل التهجير بوطنهم.	51
2.4.2	أهم الإختلافات في العوامل الثقافية الخمسة لرابوبورت والتي أثرت على تصميم المنزل النوبي شمال الشلال الثاني وجنوبه.	60
3.2.1	احصاء المنازل في قرية اشكيت قبل التهجير.	74
3.4.1	الاختلافات الأساسية بين تصميم قرية اشكيت وتصميم القرية 12.	92
3.4.2	مقارنة عوامل رابوبورت الثقافية بين تصميم المنازل الُختارة في اشكيت والقرية 12	106
4.1	الدوافع الثقافية للتغييرات المحدثة في البيئة الجديدة (القرية 12)	110
4.2	محاولات إحياء الزخارف القديمة في البيئة الجديدة.	111

3. قائمة الأشكال:

رقم الشكل	موضوع الشكل	رقم الصفحة
1.1	كيفية الاستفادة والتعلم من البيئات التقليدية في العملية التصميمية.	4
1.2	مناهج البحث المتبعة في الدراسة.	6
1.3	هيكل الدراسة	8
2.1.1	البيئات التي يعيش داخلها الانسان.	11
2.1.2	مفهوم البيئة العمرانية لدى شادي الغضبان.	12
2.1.3	الرمزية كمنطقة وسطية تنعكس من خلالها ثقافة المجتمع على الكتل الحضرية.	13
2.2.1	أنواع الثقافة وفقاً لرالف لنتون.	20
2.2.2	التفاعل المستمر بين المكونات المادية والمكونات غير المادية للثقافة.	21
2.2.3	مسقط يوضح مركزية قصر الملك في تخطيط االمدن في عهد مملكة تشو بالصين.	23
2.2.4	مستعمرات قبائل الماساي تتوسطها الحظائر وتحيط بها المساكن.	23
2.2.5	نسبة اللغات المكتوبة والمعبر عنها بالصور والمنطوقة فقط في العالم.	24
2.2.6	نسبة اللذين يرون أن المنافسة مفيدة للغاية في كل من اليابان والولايات المتحدة.	26
2.2.7	تدني نسب الأمريكيين الذين يرون أن المراة عليها الاهتمام ببيتها بدلاً عن العمل السياسي.	28
2.2.8	الارتباط بين التغيرات في العوامل المادية للثقافة والعوامل غير المادية.	29
2.2.9	آلية التغير الثقافي الناتج عن انتقال العناصر الثقافية عبر الزمن.	30

2.3.1	الحقب الزمنية للبشرية ابتداء من العصر الحديث حتى الآن.	34
2.3.2	أهم التحولات الثقافية وأثرها في تغير انماط الاستيطان البشري.	34
2.3.3	النمو، الثقافة والتصميم الداعم.	36
2.3.4	مسقط لمكان تناول الطعام والمطبخ في المسكن التقليدي الاوروبي وترتيب اماكن الجلوس.	39
2.3.5	مسقط افقي لأحد مساكن قبيلة الماساي.	39
2.3.6	مسقطين لمسكنين في نفس المنطقة بالكاميرون تباينا في التشكيل وفقاً لاختلاف تكوين العائلة.	40
2.3.7	مسقط لأحد شوارع مدينة غدامس توضح التأكيد على الخصوصية من خلال وضعية مداخل المنازل.	41
2.3.8	مسقط لمجاورة سكنية بأصفهان تظهر فيها المقاهي كأماكن للقاء.	42
2.4.1	خارطة توضح موقع بلاد النوبة ومواقع إعادة التوطين المتأثرين بقيام السد العالي.	43
2.4.2	خارطة توضح القرى التي غمرتها بحيرة السد العالي مع تحديد لهجات سكانها.	44
2.4.3	خارطة توضح استخدامات الأرض في القرية النوبية.	49
2.4.4	خارطة توضح تقسيم المنازل ضمن مجموعات مع توسط المضيفة للمساكن.	49
2.4.5	مسقطين يوضحان الفرق بين تصميم المساكن في المنطقة النوبية شمال الشلال وجنوبه.	61
3.1.1	صورة جوية توضح موقع القرية 12 بالنسبة لمدينة حلفا الجديدة.	67
3.1.2	خارطة توضح موقع عمودية اشكيت في النوبة القديمة (قبل التهجير).	68

3.2.1	خارطة توضح قرية اشكيت قبل الغرق.	73
3.2.2	خارطة توضح استخدامات الأرض في قرية اشكيت.	73
3.3.1	خارطة توضح استخدامات الأرض في القرية 12 ومخططات التوسعة المستقبلية.	83
3.3.2	مسقط أفقي يوضح منازل التعويض بالقرية 12	84
3.4.1	المساحات التي تحتلها العشوائيات حول القرية 12.	87
3.4.2	هرم ماسلو للاحتياجات الإنسانية.	87
3.4.3	صورة جوية توضح انتشار المظلات المفتوحة في ساحات القرية 12	90
3.4.4	صورة جوية توضح مواقع المنازل المختارة للدراسة في القرية 12	93
3.4.5	المسقط الأفقي لمنزل أسرة جمال محمد بقرية اشكيت.	94
3.4.6	المسقط الأفقي لمنزل أسرة جمال محمد الحالي بالقرية 12	95
3.4.7	المسقط الأفقي لمنزل أسرة الأستاذ ماهر ابراهيم بقرية اشكيت.	96
3.4.8	المسقط الأفقي لمنزل أسرة الأستاذ ماهر ابراهيم الحالي بالقرية 12.	97
3.4.9	مسقط منزل أسرة محي الدين بقرية اشكيت.	98
3.4.10	مسقط لمنزل أسرة محي الدين الحالي بالقرية 12.	99
3.4.11	مسقط لمنزل أسرة صادق محمد بقرية اشكيت.	101
3.4.12	مسقط لمنزل أسرة صادق محمد الحالي بالقرية 12	103

الفصل الأول: الإطار العام للدراسة

1.1 تمهيد:

العمارة هي دالة الثقافة والتي يمكن ان تعرّف في مجملها أنها حصاد معارفنا، فكل تغيير يحدث في البنية المعرفية يولد ثقافات جديدة قد تتعايش مع الثقافات القديمة أو تزيحها تماماً (إبراهيم، 2006).
وتعتبر البيئة العمرانية التي يعيش فيها الفرد مُشكل أساسي لبنيته المعرفية وعليه فإن أي تغيير يحدث في تلك البيئة لابد وأن يتبعه تغيير في بنية الفرد المعرفية وبالتالي ثقافته.
وتُصنف البيئات العمرانية على وجه العموم إلى:

- بيئات عمرانية تقليدية كونها المجتمع لنفسه على امتداد عقود كاستجابة لمتطلباته المادية والمعنوية.
- بيئات عمرانية مخططة أو حديثة أنشئت أولاً بناء على دراسات مختلفة لتستوعب فيما بعد ساكنيها وتلبي احتياجاتهم.

تتعرض الأولى في المقام الأول لتحديات مواكبة التطور التكنلوجي والعولمة بينما تتعرض الأخرى لتحديات تلبية الحاجات الثقافية لمستخدميها بما يحافظ على خصوصية هويتهم وتعزيز شعورهم بالإنتماء لبيئاتهم تلك.
وقد تناولت العديد من البحوث التحديات المذكورة سابقاً كمثال (فرحات، 1999)، (بلقاسم، 2009)، (طه، 2010).

ويأتي هذا البحث كإضافة في مجال دراسة العلاقة التبادلية بين الإنسان والبيئة المبنية ودراسات التصميم البيئي، إذ يؤمن الباحث أن فهم واستيعاب طبيعة هذه العلاقة التبادلية هو المفتاح للوصول إلى تصاميم عمرانية تحقق الأهداف المرجوة منها وتلبي احتياجات قاطنيها المادية والمعنوية والتي تأتي ضمن الإطار الثقافي لتلك المجتمعات.

1.2 مشكلة البحث:

يعتبر المجتمع الإنساني بثقافاته المختلفة المشكل الأساسي للبيئة العمرانية لكن برزت مؤخراً التساؤلات عن قدرة تلك البيئات العمرانية على التأثير في المجتمع وثقافته، إذ أثبتت العديد من الدراسات أن البيئة العمرانية تساعد على توليد أنماط معينة من السلوك كما يمكنها أن تحدث تأثيرات اجتماعية معينة (sevtsuk, 2012).

لكن لا يزال هذا الجانب من الدراسات العمرانية يعاني من قصور شديد؛ لصعوبة اخضاع العوامل الثقافية والاجتماعية للقياس ولتعدد وتداخل العوامل المؤثرة على ثقافة المجتمعات ولبطء التأثيرات المتبادلة بين المجتمعات وبيئاتها مما يزيد عملية رصد التغيرات صعوبة لطول الفترة الزمنية.

ومن هنا تبرز أهمية الحالة الدراسية التي اختارها الباحث (تهجير أهالي حلفا) حيث نجد فيها أن مجتمعاً انتقل بكامله من بيئته العمرانية الأم إلى بيئة أخرى مختلفة تماماً خلال فترة زمنية وجيزة إثر قيام السد العالي بجنوب مصر ضمن أكبر مشروع تهجير لتجمعات سكنية في العالم وفقاً لتقرير المنظمة الإفريقية الآسيوية للإسكان (1967) حيث بلغ عدد المهجرين 120 ألف في كلٍ من مصر والسودان.

نتجت عن عملية التهجير تلك العديد من التغيرات الإجتماعية والإقتصادية والثقافية في المُجتمع المُهجّر تناولتها العديد من الدراسات السابقة دون ربطها بتبدل البيئة العمرانية لتلك المجتمعات – وذلك ما لفت اهتمام الباحث– فقد انتقل بموجب قيام السد العالي مجتمع عريق من بيئة عمرانية تقليدية كوّنها لنفسه على امتداد عقود وأكثر إلى بيئة عمرانية حديثة أنشئت على عجل من قِبل متخصصين، في تجسيد واضح لنوعي البيئات العمرانية سالفة الذكر، وقد رأى الباحث أن دراسة وتحليل العلاقة التبادلية بين ثقافة مجتمع حلفا والبيئتين العمرانيتين اللتين استوطنهما ذلك المجتمع ستبين بوضوح طبيعة الأثر المتبادل بين ثقافة المجتمعات وبيئاتها العمرانية للتباين الشاسع بين الموطنين عمرانياً وبيئياً ولفجائية الحدث.
وعليه فإن التساؤل الأساسي الذي يطرحه البحث هو:
ما هو أثر تبدل البيئة العمرانية على ثقافة ذلك المجتمع؟
وللإجابة عن هذا التساؤل الرئيسي يلزمنا أن نجيب على جملة التساؤلات الفرعية التالية:

- ما هي البيئة العمرانية؟ ما أنواعها وما السمات العامة المميزة لكل منها؟ وما العوامل المؤثرة على تشكيلها؟
- ماهي الثقافة؟ وما أهم عناصرها؟ ما المقصود بالتغيرات الثقافية؟ وكيف تحدث؟
- ما التأثير المتبادل بين ثقافة المجتمعات وبيئاتها العمرانية؟ وهل يختلف هذا التأثير المتبادل باختلاف نوع البيئة العمرانية؟
- ما التأثير المتبادل بين البيئة العمرانية لمجتمع الدراسة وبين ثقافة ذلك المجتمع قبل وبعد التهجير؟
- ومن ثم يصبح بإمكاننا أن نجيب على تساؤل البحث الرئيسي االمذكور سابقاً.

1.3 أهمية البحث:

- أهمية علمية تنبع من كونه يأتي كإضافة لأبحاث التصميم البيئي والتي أشار رابوبورت(1) (1980) إلى أنها لكي تكون مجدية فلا بد أن تتم على ثقافات متعددة ولحقب زمنية مختلفة بحيث تصلح نتائجها للتعميم، وتحاول الدراسة أن ترصد التأثير المتبادل بين البيئتين العمرانيتين اللتين استوطنهما مجتمع حلفا من جهة وبين ثقافة الحلفاويين الذين استوطنوا تلكما البيئتين من جهة أخرى (قرية اشكيت كحالة دراسية).

- أهمية توثيقية إذ أنه يوثق لمنطقة مُندثرة تميزت بالغنى االثقافي والعمراني.
- أهمية تطبيقية إذ أن فهم العلاقة المتبادلة بين البيئات العمرانية وبين ثقافة السكان يدفع قدماً نحو ايجاد تصاميم عمرانية تأخذ في اعتبارها ثقافة قاطنيها وتلبي احتياجاتهم المادية والمعنوية وتعزز لديهم الشعور بالإنتماء لبيئاتهم تلك.

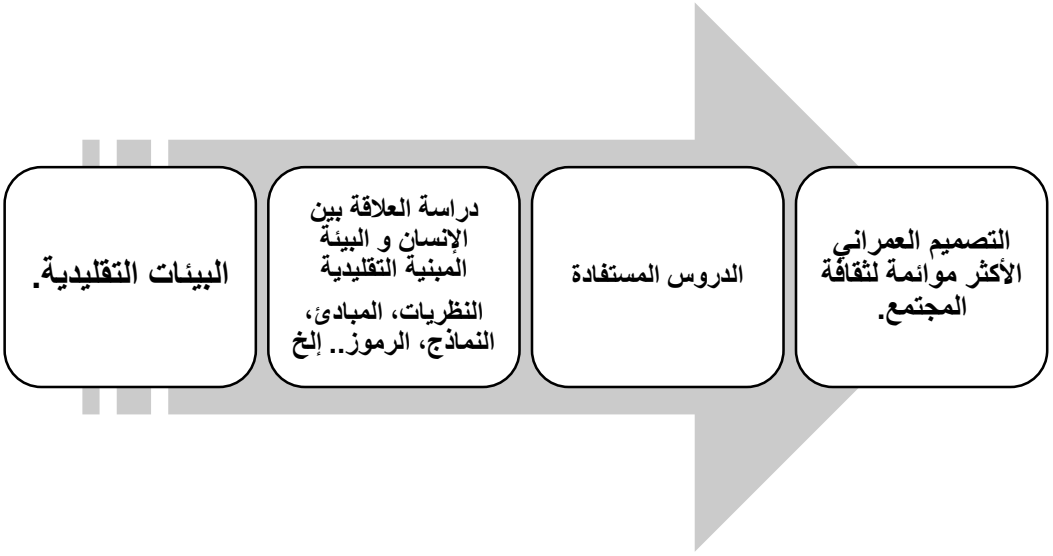

الشكل (1.1) كيفية الإستفادة والتعلم من البيئات التقليدية في العملية التصميمية ،

المصدر: (Rapopor, 1969) ترجمة: (التركي، 2004) – بتصرف من الباحثة

- (1) آموس رابوبورت: معماري له عدة مؤلفات في مجال ارتباط الثقافة بالتشكيل المعماري وتأثير العمارة على سلوك المستخدمين، يعتبر أحد مؤسسي علم دراسات البيئة و السلوك EBS (Wikipedia, 2018)

1.4 أهداف الدراسة:

يهدف البحث إلى :

- فهم العلاقة التبادلية بين ثقافة المجتمعات وبيئاتها العمرانية من خلال دراسة العلاقة المتبادلة بين مجتمع الدراسة وبيئتيه اللتين استوطنهما(بيئة تقليدية قبل التهجير، بيئة مخططة بعد التهجير)، كما تهدف لرصد الأثر الثقافي الناتج عن تبدل البيئة العمرانية لمجتمع الدراسة.

1.5 فرضيات البحث:

استند الباحث في وضع فرضية الدراسة على نظرية رابوبورت (الثبات والتغير) والتي تتوافق تماماً مع تصنيف لانتون للأنماط الثقافية إذ يرى رابوبورت أن لكل مجتمع نواة ثقافية تمثل الأنماط الثقافية الأكثر أهمية لذلك المجتمع وأن تلك النواة الثقافية تدعمها أشكال عمرانية معينة تظهر بوضوح في الناتج البنائي الشعبي وعرفها بأنها العناصر الأقل عرضة للتغيير مع مرور الوقت ويمكن أن نطلق عليها عناصر محتجزة (ضيف الله، 2018) وهي ما سيحاول الباحث رصده عبر تحليله لأسلوب الحياة والبيئة العمرانية لمجتمع الدراسة ما قبل التهجير بقرية اشكيت، وعليه فإن فرضية البحث الأساسية هي:

- التصميم العمراني للقرية 12 لم يدعم العناصر الثقافية الأساسية للمجتمع المهجّر من قرية اشكيت.

1.6 مناهج البحث:

اتبع الباحث المنهج الاستقرائي التحليلي في الجانب النظري من الدراسة. كما استخدم المنهج التاريخي لدراسة وتحديد الشكل الحضري لوادي حلفا قبل التهجير، ولرصد الخلفيات الثقافية التي شكلت تلك البيئة الحضرية عبر السجلات والشواهد والمقابلات. كما استخدم الباحث المنهج الوصفي عبر دراسة الحالة لتحديد الشكل الحضري لمنطقة حلفا الجديدة ودراسة ثقافة المجتمع في القرية 12، ثم استخدم الباحث الدراسات السببة المقارنة لتحليل التغيرات التي قام المجتمع بإحداثها في بيئته المخططة لتتوافق مع ثقافته، وتحليل ما إن كانت تلك التغييرات التي أُجريت تدعم عناصر رابوبورت الخمس (الاحتياجات الاساسية، تكوين العائلة، الخصوصية، التواصل الاجتماعي، عزل النساء) كنواة ثقافية لذلك المجتمع أم لا.

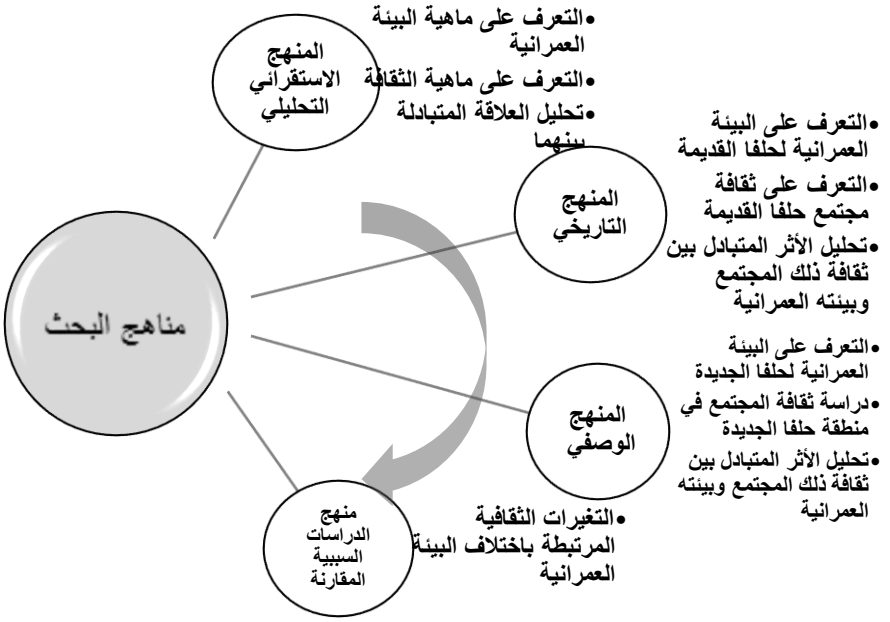

الشكل (1.2) يوضح مناهج البحث المُتبعة في الدراسة. المصدر: الباحثة

1.7 أدوات جمع المعلومات:

1.7.1 الجانب النظري من الدراسة:

استعان الباحث في الجانب النظري من الدراسة بوسائل عرض المعلومات المطبوعة كالكتب والأوراق العلمية والبحوث والمجلات والخرائط وغيرها. كما استعان بوسائل عرض المعلومات غير المطبوعة مثل المواقع الإلكترونية وخرائط موقع قوقل.

1.7.2 العمل الميداني:

استعان الباحث في العمل الميداني ب:

- المقابلات شبه المهيكلة مع سكان المنطقة والجهات الحكومية والمختصين.
- الملاحظة لأسلوب حياة السكان وأنماط البيئة العمرانية في المنطقة.
- الاستعانة بالتصوير والتسجيلات الصوتية والرسومات والخرائط.

1.8 حدود الدراسة:

1.8.1 حدود مكانية:

تختص الدراسة مكانياً بـــ:

- قرية اشكيت شمال مدينة حلفا القديمة: والتي غُمرت بالمياه الناتجة عن تشييد السد العالي داخل الأراضي السودانية على الحدود الشرقية للنيل والتي تتكون من مشيختين هما اشكيت جنوب واشكيت شمال وعدد سكانها عند التهجير 1860 نسمة (دفع الله،2003).
- القرية 12 بحلفا الجديدة: والتي تقع في ولاية كسلا شرق السودان تأسست في إطار خطة بناء السد العالي في مصر لتوطين السكان المهجرين من منطقة وادي حلفا التي غمرتها مياه بحيرة السد المعروفة في السودان بإسم بحيرة النوبة.

1.8.2 حدود زمانية:

شملت الدراسة قرية اشكيت ما قبل التهجير مستعينة بإفادات وكتابات من عاصر تلك الفترة، فكانت الحدود الزمانية للدراسة منتهية في الوقت لحاضر وممتدة قبله قرابة قرن من الزمان.

1.8.3 حدود علمية:

بما أن التغيرات الثقافية تحدث في المجتمعات لعدة أسباب (إقتصادية و سياسية..إلخ) تتداخل فيما بينها ويصعب جدا فصل تأثير أحد العوامل عن العوامل الأخرى، فقد حاول الباحث أن يقصر هذا البحث على دراسة التغيرات الثقافية المرتبطة بصورة مباشرة بتبدل البيئة العمرانية كنتيجة للتهجير مع محاولة تحييد العوامل الأخرى.

1.9 هيكل الدراسة:

يوضح الشكل التالي هيكل الدراسة:

الشكل رقم 1.3: يوضح هيكل الدراسة – المصدر: إعداد الباحثة.2018

1.10 صعوبات اعترضت مسار البحث:

ارتباط الدراسة بمجال الثقافة شكل في حد ذاته تحدياً بالغ الصعوبة فالدراسات الإجتماعية المرتبطة بالثقافة تتقدم ببطء شديد مقارنة بمجالات الدراسات الإجتماعية الأخرى والتي تعتبر أكثر وضوحاً مثل البطالة والجريمة..إلخ، أما دراسة الأمزجة والقيم وغيرها من مكونات الثقافة فهي في غاية الصعوبة إذ أن الظواهر الثقافية يصعب إخضاعها للتجربة والقياس.

بعد القرية موضع الدراسة عن مكان إقامة الباحث شكّل عقبةً وتحدٍ ساهم في تأخير إتمام البحث في الوقت المحدد، ولذلك لتكلفة السفر مادياً ولصعوبة العثور على مكان آمن للإقامة طوال فترة جمع المعلومات الميدانية، كما أعاق اكمال البحث سوءُ الأحوال الجوية في القرية 12 بعد وصول الباحث إليها بالإضافة لأزمة الوقود الحادة في منطقة حلفا الجديدة إذ ذاك.

وقد ساهمت الظروف السياسية المعقدة التي مرت بها البلاد (ثورة ديسمبر المجيدة) في تأخير إتمام البحث، وكلنا أمل أن نشهد سوداناً جديداً كما نتمناه.

الفصل الثانى: الدراسة النظرية

2.1 البيئة العمرانية

لنتعرف على مفهوم البيئة العمرانية سنتعرف أولا على مفهومي البيئة و العمران، كلاً على حدة .

2.1.1 مفهوم البيئة:

البيئة هي كل شيء حولنا، سواء أشياء حية أو غير حية، كما تشمل القوى الفيزيائية والكيميائية وغيرها من القوى الطبيعية (Wikipedia, 2018).

ويختلف تعريف البيئة من وجهة نظر لأخرى، فالبيئة بالنسبة للجغرافيين تعني العالم المادي وتشكيلات الأرض والمناخ، والبيئة لدى علماء الاجتماع هي المجموعات الاجتماعية وهكذا.

الشكل (2.1.1) يوضح البيئات التي يعيش داخلها الانسان، المصدر: http://kenanaonline.com/users/YasserMahgoub/posts/572443

2.1.2 مفهوم العمران:

نبدأ بعرض المفهوم اللغوي للعمران، ففي اللغة العربية نقول: (عمر المكان)؛ أي كان مسكوناً بالناس و(عمر الدار)؛ أي بناها، والعمران هو البنيان أو ما يعمر به البلد بواسطة الصناعة والتجارة والبناء (المعجم العربي الأساسي، 1989).

ومن منظور اجتماعي يرى ابن خلدون أن العمران هو التساكن والتنازل في مصر أو حلة ، للأنس بالعشيرة واقتضاء الحاجات (ابن خلدون، 1986) وهو بذلك يجعل العمران هو الحياة الاجتماعية للبشر في جميع ظواهرها ، ويربط بين العمران وأسلوب الحياة وكسب الرزق، فيجعل ما يجمع الناس في عمران واحد هو تعاونهم في تحصيل معاشهم.

والعمران بمفهوم شامل يمكن تناوله من منظورين أحدهما يرى العمران نتيجة والآخر يراه وسيلة، فالاتجاه الأول ويمثله تعريف نبيل فرج (1984) للعمران إذ يرى أنه " نتيجة تفاعل ذكاء الإنسان مع البيئة الطبيعية في استيفاء حاجاته المادية والروحية ." وبذلك نرى أن طرفي التفاعل هما الإنسان والبيئة ، ومحددات هذا التفاعل هي محددات تلك البيئة الطبيعية مع النواحي الثقافية والاجتماعية وغيرها، أما ناتج التفاعل فهو العمران الذي يأتي موفياً لحاجات الإنسان المادية والروحية (مديحة، 2010).

أما الاتجاه الثاني فيمثله تعريف عبد الحليم إبراهيم للعمران (1990) إذ يرى أن العمران هو أداة المجتمع ووسيلة لصياغة وتجديد معارفه ومفاهيمه الأساسية وشحذ طاقات أفراده الإبداعية (مديحة، 2010).

وهذا المفهوم يعترف بالقوة الكامنة في العمران و قدرته على التأثير في المجتمع.
و يرى الباحث أن الاتجاهين المذكورين سابقاً في تحديد مفهوم العمران يمكن ربطهمما بنوعي البيئآت العمرانية و التي تطرقنا لها بإيجاز في مقدمة البحث وسنتطرق لها بالتفصيل لاحقاً.

2.1.3 مفهوم البيئة العمرانية:

عرّف شادي الغضبان(1) (1986) البيئة العمرانية بأنها النسيج المادي المعبر عن ناتج تفاعل الإنسان مع بيئته بهدف إشباع متطلباته المادية والروحية في إطار محددات خلفياته الثقافية والإجتماعية والفكرية (مديحة، 2010).

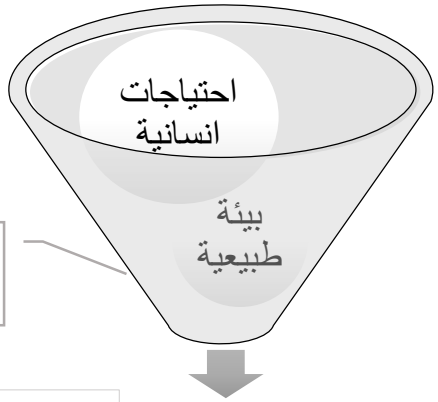

الشكل 2.1.2: مفهوم البيئة العمرانية لدى شادي الغضبان - المصدر: الباحثة

ويرى الباحث أن تعريف الغضبان ينظر للبيئة العمرانية باعتبارها ناتج فقط عن تفاعل الإنسان مع البيئة الطبيعية و لا يأخذ في اعتباره قدرة البيئة العمرانية على التأثير في الإنسان وتغيير المجتمع كما أنه ينظر للبيئة العمرانية على أنها نسيج مادي فقط.

ويرى بول اوليفر (2006) أن الإنسان يعيد تشكيل بيئته الطبيعية لإنتاج بيئة مبنية تشبع احتياجاته المختلفة، فالاحتياجات الإنسانية هي المحدد الرئيسي لتشكيل البيئة المبنية (التركي، 2004).
ويؤكد رابوبورت أن المهم بالنسبة لتشكيل المبنى –ويمكن تعميم ذلك على البيئة المبنية ككل– هو الأسلوب المتبع ثقافياً للتعامل مع تلك الحاجات، فالمسألة بالأساس هي أين وكيف يمارس الإنسان انشطته الحياتية (رابوبورت، 1969).

---

(1) د. شادي الغضبان: مدير دائرة الهندسة في بلدية رام الله سابقاً، أستاذ مشارك بدائرة الهندسة المعمارية جامعة بيرزيت حالياً، عضو اللجنة الدولية للمدن و القرى التاريخية CIVVIH. (google, 2018)

ويعرف رابوبورت (1990) البيئة العمرانية بأنها سلسلة من العلاقات بين العناصر الفيزيائية والإنسان وتكون على ثلاث مستويات: علاقات بين العناصر الفيزيائية، وعلاقات بين العناصر الفيزيائية والإنسان وعلاقات بين الإنسان والإنسان، و يُعبّر عن تلك العلاقات من خلال ثلاثة نظم:

- التنظيم المكاني spatial organization المتمثل بالعلاقات بين الفضاءات والكتل الحضرية.
- تنظيم المعاني meaning organization ويتمثل بمعاني الكتل الحضرية ورمزيتها.
- تنظيم الاتصال communication organization ويتمثل في الاتصال الإجتماعي بين الأفراد ويمكن التعبير عنها من خلال معدلات التلاقي بين أفراد المجتمع.

واللافت في تعريف رابوبورت أن الرمزية تمثل جزءاً أساسياً من تعريفه للبيئة العمرانية والتي ترتبط بهوية وثقافة الأفراد والمجتمعات بصورة مباشرة ولاستشعار أهميتها (الرمزية) فعلينا أن نأخذ بعين الاعتبار أن هناك من يجادل أن العقل البشري يعمل بشكل أساسي من خلال محاولة إعطاء معني رمزي لكل ما يحيط به (رابوبورت، 1990).

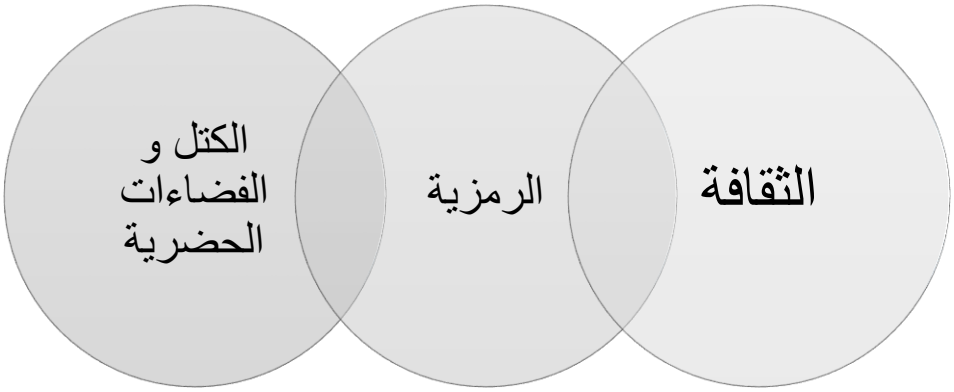

الشكل 2.1.3: يوضح الرمزية كمنطقة وسطية تنعكس من خلالها ثقافة المجتمع على الفضاءات والكتل الحضرية التي يعيش داخلها. المصدر: الباحثة

ولأغراض هذا البحث سنعرف البيئة العمرانية بأنها الكتل والفضاءات الحضرية والعلاقات التي تربط بينها والتي يتم تكوينها لإشباع الإحتياجات الانسانية المختلفة.

2.1.4 أنواع البيئآت العمرانية:

يمكن تصنيف البيئة العمرانية من حيث القوى المُشكلة للعمران إلى:

- البيئة العمرانية التقليدية أو الناتج البنائي الشعبي.
- البيئة العمرانية المُخططة أو الناتج البنائي الرسمي.

يستمد الناتج البنائي الشعبي قوانينه من خبرات وقيم وثقافة المجتمع المتراكمة عبر العصور بعكس الناتج البنائي الرسمي والذي يستمد أنساقه من خلال مساهمة العديد من القطاعات الرسمية على مستوى التخطيط أو التصميم أو التنفيذ، ويهدف النمط الرسمي للبناء بصفة أساسية إلى استيفاء الاحتياجات النفعية للجماعة من خلال أطر مؤسسية تكون معنية في المقام الأول بالتأثير على العامة أو إضفاء رموز السلطة على المؤسسات الحاكمة أو تمجيد بعض الجماليات، ويمثل هذا النمط نسق البناء الأكثر شيوعاً لدى المجتمعات الحضرية المعاصرة، أما العمارة الشعبية فتعبر تعبيراً مباشراً وعفوياً عن ثقافة الجماعة وقيمها واحتياجاتها وانفعالاتها، ومن ثم تعتبر العمارة الشعبية أكثر التصاقاً بحياة وثقافة الجماعات الإنسانية (مديحة، 2010).

وعليه فإن الإختلاف الأساسي بين الناتج البنائي الشعبي والناتج البنائي الرسمي يكمن في علاقة الإنسان بالبيئة في كلٍ منهما، إذ تكون العلاقة مباشرة في الناتج البنائي الشعبي، أما في البيئة العمرانية المُخططة فتنقطع تلك العلاقة المُباشرة بين الإنسان وبيئته نتيجة تدخل أطراف عديدة، وبالتالي يأتي النتاج العمراني من وجهة النظر الرسمية وليس الشعبية، فتنتفي التلقائية ليحل محلها التخطيط المُسبق الذي يكون على أساس السياسات والتوجهات الرسمية للدولة في المقام الأول (مديحة، 2010).

و يتجلى الفرق بين البيئة العمرانية التقليدية و البيئة العمرانية المخططة في ثلاثة نقاط أساسية هي:

أ. المرحلية. ب. المُصمم. ج. مُحددات البناء.

جدول رقم 2.1.1: الفروقات بين البيئة العمرانية التقليدية والبيئة العمرانية المخططة .

المصدر: مديحة حامد، 2010.

	المرحلية	المُصمم	مُحددات البناء
البيئة العمرانية التقليدية	تمتاز البيئة العمرانية التقليدية بنموها المرحلي، و ذلك لأن عملية البناء لا تتم بصورة نهائية من البداية ولكن البناء يرتبط في نموه مع تزايد احتياجات الفرد فكلما ظهرر احتياج جديد تم بناء الحيز الفراغي الذي يوفي هذا الإحتياج.	لا يظهر المصمم غالباً كمشكل لهذه البيئة التقليدية و إنما نجد أن المستعمل هو الذي يشكل البيئة العمرانية وفقاً لاحتياجاته ويستعين بالحرفي أو البناء لتحقيق ذلك، وغالباً ما يكون هو مشاركاً في عملية البناء أيضاً، فيأتي البناء معبراً عن شخصية المستعمِل وهويته وثقافته.	في البيئة العمرانية التقليدية تشكل الأعراف والتقاليد والتجربة أهم محددات عملية البناء، فالإرتدادات من الجيران وارتفاع الفتحات أو التوجيه تُحدد من قِبل قيود قوية من الأعراف والتقاليد، كما أن استخدام نوع معين من التسقيف أو المعالجات في الواجهات يتم من خلال طرق سابقة مجربة أثبتت كفائتها وملائمتها.
البيئة العمرانية المُخططة	البيئة العمرانية المُخططة يُميزها الإكتمال وذلك لأن الاحتياجات محسوبة مسبقاً ومُوفر لها الحيزات الفراغية التي تحتويها، وبالتالي يظهر العمران بصورته النهائية.	البيئة المخططة تعتمد إعتماداً أساسياً على وجود المصمم الذي يكون دوره تحويل سياسات واستراتيجيات التنمية إلى حلول عمرانية ويأتي التصميم في هذه الحالة معبراً عن الإتجاهات الثقافية الرسمية للدولة والمؤسسات.	في البيئة العمرانية المُخططة تشكل قوانين ولوائح البناء المُحددات الأساسية للإرتدادات والإرتفاعات وغيرها من القوانين الحاكمة.

2.1.5 مكونات البيئة العمرانية:

تتكون البيئة العمرانية من كل ماهو من صنع الإنسان من مباني وفراغات وقانون حاكم ينظم علاقة المباني والفراغات ليكون النسيج العمراني ويحدد ملامح التشكيل العمراني للمنطقة.
ويمكن القول بأن اختلاف علاقة المباني بالفراغات سواء كانت شوارع أو فراغات بينية يؤدي لاختلاف البيئات العمرانية ، ويعطي كلاً منها ملامحها التي تميزها عن غيرها من البيئات العمرانية الأخرى.

ويمكن اعتبار أن البيئة العمرانية او البيئة المبنية تتشكل من خلال عنصرين أساسيين هما:

أ. الكتل و الفراغات:

تتشكل البيئة العمرانية من علاقة الكتل بالفراغات، ونقصد بالكتل المباني أما الفراغات فهي إما المسارات والشوارع أو الفراغات البينية التي تتخلل الكتلة العمرانية، واختلاف البيئات العمرانية يظهر في اختلاف العلاقة بين الكتل والفراغات وهذه العلاقة تُحدد ملامح التشكيل العمراني للمنطقة، وعندما يتكرر شكل أو إطار معين لهذه العلاقة يتكون ما يُسمى بالنمط العمراني.

ب. القانون الحاكم الذي يحدد علاقة الكتل بالفراغات (الأنماط العمرانية):

النمط العمراني هو منطقة أو حيز عمراني يجمع خصائص بيئية وهندسية واجتماعية واقتصادية واحدة، و يُمكن القول بأنه التشكيلات العمرانية ذات الخصائص المتشابهة، والنمط قد يطلق على مستوى المباني من حيث حجم الفتحات وطريقة توزيع الفراغات في قطعة الأرض ومواد البناء المستخدمة أو على مستوى البيئة العمرانية ككل (أكبر، 1992).

و يعكس النمط العمراني العلاقة بين الكتل و الفراغات وهذه العلاقة لها ملامح متميزة ومتكررة، أي أن النمط العمراني يتميز بخاصيتين أساسيتين هما:

- وجود ملامح مميزة للحيز العمراني يكون فيها أي جزء من الحيز هو عينة ممثلة للكل.
- وجود درجة من العمومية او الإنتشار لهذه الملامح.

على هذا يمكن فهم المدن بصورة أفضل من خلال تقسيمها لقطاعات معبرة عن أنماط عمرانية متباينة (مديحة، 2010).

صورة رقم 2.1.1: توضح نموذج لنمطين عمرانيين متباينين على اليمين (مدينة غدامس الليبية) نمط بنائي عضوي ذونسيج متضام وعلى اليسار (حي الديوم الشرقية بالخرطوم) نمط شبكي بنسيج بنائي هندسي تتوزع به الساحات بانتظام- المصدر: google earth 2016

2.1.6 العوامل المؤثرة على تشكيل البيئة العمرانية :

هناك العديد من العوامل التي تؤثر على تشكيل البيئة العمرانية وتتحكم في تحديد ملامح وسمات هذه البيئة بما يتلائم مع احتياجات أفراد المجتمع.

تنقسم هذه العوامل إلى قسمين:

أ-عوامل عمرانية مادية (التضاريس، مناخ،...إلخ).

ب-عوامل غير عمرانية (ثقافية، سياسية، اقتصادية، اجتماعية) (مديحة،2010).

2.1.7 خلاصة القسم الأول من الدراسة النظرية:

تعرفنا في هذا القسم من الدراسة النظرية على ماهية البيئة العمرانية ونوعيها الرئيسيين، التقليدية منها والمخططة، كما تعرفنا على العوامل التي تشكل البيئآت العمرانية ومكونات تلك البيئآت وذلك تمهيداً لدراسة الثقافة والتي تُعتبر البيئة العمرانية جزءاً من مكوناتها المادية.

2.2 الثقافة والمجتمع:

2.2.1 تعريف الثقافة:

كما أسلفنا فإن استخدام مفهوم الثقافة يختلف من باحث لآخر وفقاً لاختلاف التخصصات والجدول التالي يوضح بعضاً من تلك التعريفات:

جدول 2.2.1: آراء بعض المفكرين والنقاد حول مفهوم الثقافة - المصدر: إعداد الباحثة

المصدر	التعريف
المعجم الوسيط اكتوبر 2018 https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/ثقافة/	الثقافة هي مجموعة القيم المشتركة بين مجموعة من الناس، بما في ذلك السلوك المتوقع والمقبول من الناس، والافكار والمعتقدات والممارسات.
معجم مصطلحات عصر العولمة (2004) اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي: معجم عصر العولمة، دارالثقافة للنشر، مصر 2004	الثقافة هي البيئة التي يحيا فيها الإنسان والتي تنتقل من جيل إلى جيل، وتتضمن الانماط الظاهرة والباطنة من السلوك المكتسب عن طريق الرموز، وتتكون ثقافة أي مجتمع من أيدلوجياته وأفكاره ومعتقداته ودياناته ولغاته وفنونه وقيمه وعاداته وتقاليده وقوانينه وسلوكيات أفراده، وغير ذلك من وسائل حياته ونشاطه وأفكاره.
تايلور (1924) Edward Burnett Tylor, primitive culture: researches in to the development of mythology, Edition 2 ,New York, Brentano ,1924	الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يشتمل على المعرفة والفن والأخلاق والقانون وغيرها من القدرات والعادات والإمكانات المادية وغير المادية التي يحصل عليها الفرد باعتباره عضواً في المجتمع.
فيرث (1951) Firth, R. (1951), Elements of Social Organization, Watts, London.	إذا اعتبرنا المجتمع مجموعة منظمة من الأفراد بطريقة حياة معينة فإن الثقافة هي تلك الطريقة في الحياة، وإذا أخذنا المجتمع على انه ترابط علاقات اجتماعية، فإن الثقافة هي محتوى تلك العلاقات، المجتمع يؤكد على المكون البشري لمجموعة مترابطة من الناس والعلاقات بينهم؛ بينما الثقافة تؤكد على مكون الموارد المتراكمة المادية وغير المادية والتي يرثها الناس ويستخدمونها ويحولونها.
رابوبورت (1989) Rapoport, Amos (1989), Housing Culture And Design A comparative Perspective	الثقافة هي أسلوب حياة لمجموعة من الأفراد ومجموعة استراتيجيات للبقاء تستند على البيئة ومواردها.

التعريف الذي ورد في المعجم الوسيط قصر الثقافة على المعارف المشتركة بين مجموعة من الناس سواء القيم او انماط السلوك، بينما توسع التعريف الوارد في معجم مصطلحات عصر العولمة فشمل تعريفه للثقافة الرموز الخاصة بالمجموعات المختلفة والمخططات المعرفية والسلوكية كما ربط الثقافة بوسائل حياة المجموعة وأنشطتها، وقد ابتدأ التعريف بمحاولة لربط الثقافة بالبيئات المختلفة (البيئة الإجتماعية، البيئة السلوكية، ..إلخ)، وذلك بجعل الثقافة هي البيئة ويرى الباحث أن تعريف الثقافة بأنها هي البيئة سيحدث الكثير من اللبس.

أما تعريف تايلور للثقافة فقد ركز على المخططات المعرفية المشتركة بين أفراد المجموعة ونبه إلى أن تلك المعارف او الإمكانات المكتسبة قد تكون مادية (وهنا يمكن أن نُضمّن البيئة العمرانية كأحد الإمكانات المادية المكتسبة لأفراد المجموعة) أو غير مادية كالأساطير والمعتقدات.

تميز تعريف فيرث بربطه اللافت والسلس بين مفهومي الثقافة والمجتمع كما أنه أشار إلى إمكانات وموارد الثقافة بشقيها المادي منها وغير المادي كما ورد في تعريف تايلور سابقاً.

حاول رابوبورت في تعريفه المذكور أعلاه أن يجمع بين تعريفات علماء الانثروبولوجي لمفهوم الثقافة؛ فهم رغم اتفاقهم على مركزية الثقافة عند تعريف الإنسانية، إلا أنهم اختلفوا في تعريفها كثيراً، وقد خلُص رابوبورت إلى أن جميع تلك التعاريف تدور حول ثلاثة مفاهيم رئيسية:

- طريقة حياة نموذجية لمجموعة من الناس.
- نظام من الرموز والمعاني والمخططات المعرفية المنقولة عبر الترميز.
- مجموعة استراتيجيات للبقاء عبر التأقلم مع البيئة.

وقد شدد رابوبورت أنه يجب ألا ننظر لهذه المفاهيم على أنها متناقضة بل هي تكمل بعضها البعض؛ فجاء تعريفه موافقاً لنظرته تلك، فذكر أن اسلوب الحياة الخاص بمجموعة من الناس تكوِّن المجموعة من خلاله مخططاتها المعرفية ورموزها ورؤاها المثالية الخاصة، وأخيراً فإن كلاً من اسلوب الحياة والرموز الخاصة بالمجموعة هي جزء من الاستراتيجيات التكيُّفية للمجموعة ضمن اطارها البيئي (1980).

ويرى الباحث أن تعريف كل من فيرث ورابوبورت للثقافة يتشابهان في جعلهما الثقافة أسلوب حياة، ولأغراض هذه الدراسة تبنى الباحث تعريف رابوبورت للثقافة، إذ يرى الباحث أن هذا التعريف يربط بين الثقافة وبين البيئة فاسلوب الحياة يتجسد من خلال أنشطة المجتمع المختلفة والتي بدورها تساهم في تكوين البيئة المبنية وتتم داخلها وتتأثر بها.

2.2.2 أنماط الثقافة:

تختلف تصنيفات الثقافة وتتعدد فقد ذكر رالف لينتون (1945) في كتابه الأساس الثقافي للشخصية أن كل ثقافة لها مركز مستقر نسبياً يتكون من عموميات وخصوصيات مندمجة ومتآلفة، وتحيط بالمركز منطقة مائعة متغيرة باستمرار سماها البدائل وهكذا فإن أنماط الثقافة لديه تنقسم إلى ثلاثة أقسام وهي:

- العموميات: وهي مكونات الثقافة التي يشترك فيها جميع أفراد المجتمع وتشمل الأفكار والعادات والتقاليد وأنماط السلوك وجميع مظاهر الحياة في المجتمع.
- الخصوصيات: وهي مكونات الثقافة التي يشترك بها مجموعة معينة من أفراد المجتمع ويطلق عليها الثقافة الفرعية فقد تكون خاصة بطبقة اجتماعية دون أخرى أو التي يتسم بها من يشتركون في مهنة معينة.
- البدائل: وهي مكونات الثقافة التي لاتنتمي إلى العموميات ولا إلى مجموعات بعينها وتتسم بالاضطراب ثم لا تلبث ان تزول أو تتحول إلى خصوصيات أو عموميات وغالباً ما تكون مقتبسة من ثقافة مجتمع آخر(ستيتة، 2010).

الشكل 2.2.1: يوضح أنواع الثقافة وفقاً لرالف لينتون.

المصدر: إعداد الباحثة

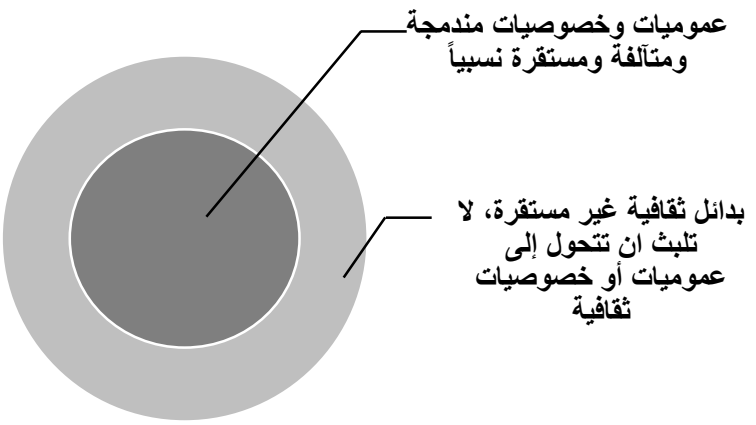

وهنا نشير إلى أن نظرية رابوبورت (الثبات والتغير) تتوافق تماماً مع تصنيف لانتون للمكونات الثقافية إذ يرى رابوبورت أن هناك مكونات في البيئة المبنية (عناصر ثقافية مادية) تمثل داعماً للنواة الثقافية للمجتمع ككل وهي مايجب الحفاظ عليه عند التصميم مستقبلاً.

كما رأى بعض العلماء أن الثقافة تتكون من ثلاث مكونات أو أنواع رئيسية هي:

- المكونات المادية: وهي كل ما يستعمله الإنسان في حياته اليومية من أثاث ومسكن وملبس ومباني وغيرها.
- المكونات الفكرية: وهي تشتمل علي اللغة والفن والدين والعلم وغيرها.
- المكونات الاجتماعية: وهي البناء الاجتماعي وهيكل المجموعة الاجتماعية من الناس (عيسى، 2014).

ودمج بعضهم بين المكونات الفكرية والمكونات الإجتماعية فصنف الثقافة لقسمين رئيسيين:

- ثقافة مادية وتشمل التعبيرات المادية للثقافة مثل التكنلوجيا والعمارة والفن.
- ثقافة غير مادية مثل مبادئ التنظيم الإجتماعي والأساطير والفلسفة (ويكيبيديا، نوفمبر 2018).

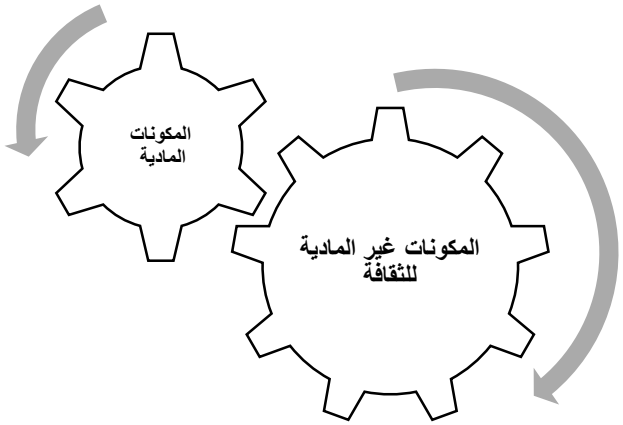

الشكل 2.2.2 يوضح التفاعل المستمر بين المكونات المادية للثقافة والمكونات غير المادية, المصدر: إعداد الباحثة

2.2.3 عناصر الثقافة :

وهي المكونات الأكثر دقة للثقافة و تندرج ضمن المكونين سابقي الذكر (عناصر مادية، عناصر غير مادية) كما أن كلا منها يحتوي على عموميات وخصوصيات وبدائل وفقاً لتصنيفات لينتون، ولصعوبة الإحاطة بها جميعاً سنتناول منها ما يلي:

2.2.3.1 العناصر المادية للثقافة:

وتشمل الملابس، الأدوات، التكنلوجيا، العمارة وغيرها؛ إذ يتميز كل مجتمع بمكوناته المادية الخاصة به، ومن المهم أن نشير إلى أن العولمة ساهمت في تشابه العناصر المادية لكثير من الشعوب وقلصت من الفوارق بينها، في بعض الأحيان يجد الناس صعوبة في فهم القطع المادية التي تشكل جزءًا مهمًا من ثقافة المجتمعات الأخرى، فالمجتمعات البدائية على سبيل المثال يصعب أن يفهموا كيف أن التكنلوجيا باتت تسيطر على أسلوب حياة الناس في المدن، وبالعكس فأفراد المدن يصعب أن يقدروا أهمية الكثير من العناصر المادية في المجتمعات البدائية.

2.2.3.2 الرموز:

تحتوي كل ثقافة على العديد من الرموز والتي غالباً ما تثير ردود الافعال والعواطف المختلفة، بعض الرموز هي في الواقع أنواع من الاتصالات غير اللفظية، في حين أن بعضها الآخر يتكون من عناصر مادية، والرموز بشقيها هي ما يجعل التفاعل الاجتماعي ممكنًا.

من أمثلة الرموز غير اللفظية الإيماءات أو حركات اليدين أو الذراعين أو أجزاء أخرى من الجسم وهي تعبيرات غير لفظية لا يخلو منها مجتمع وتستخدم لنقل العواطف والأفكار فالمصافحة مثلاً وهي تعبير رمزي تستخدم لدى بعض المجتمعات لتدل على التحية والترحيب أو المغادرة. ومن المهم الإشارة إلى أن نفس الإيماءات قد تختلف دلالتها من مجتمع لآخر ففي الشرق الأوسط على سبيل المثال يعتبر تحريك الرأس صعودا وهبوطا دلالة على كلمة نعم ، أما تحريك االرأس ذهابا وإياباً فيعني كلمة لا. بينما في بلغاريا فنفس الإيماءات المذكورة أعلاه تنعكس دلالتها تماماً.

من أمثلة الرموز المادية الأعلام والتي لا يمكن أن يُنظر إليها على أنها مجرد قطعة قماش، كذلك الملابس تستخدم للدلالة على الوظيفة أو المكانة الإجتماعية أو خلافه، وتعتبر العمارة والتخطيط من أهم الأمثلة على الرموز المادية فلكل شكل هندسي دلالة رمزية مختلفة وكذلك الألوان المختلفة لها دلالات وفقاً لاختلاف الثقافات ومركزية العناصر وتكرارها وتعامدها كلها لها دلالت مختلفة.

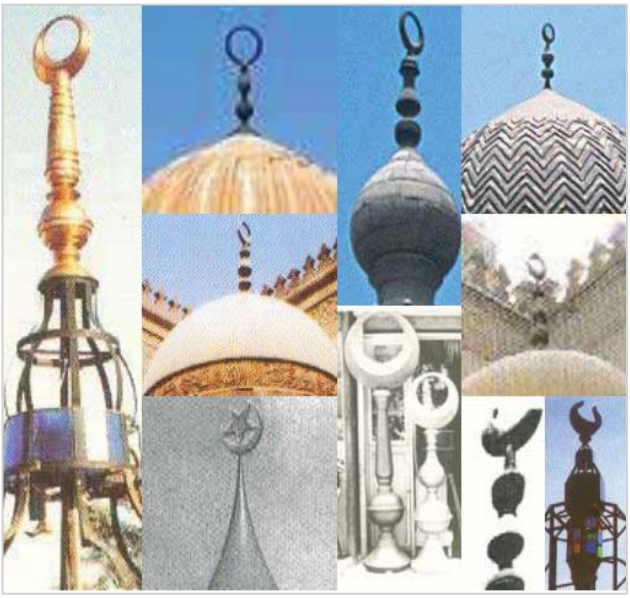

صورة رقم 2.2.1: الأهلة في عمارة المساجد للدلالة على التوقيت الإسلامي، كما ترمز للنور الذي أهل على الأرض بالرسالة المحمدية. المصدر: (الجبلاوي،2009)

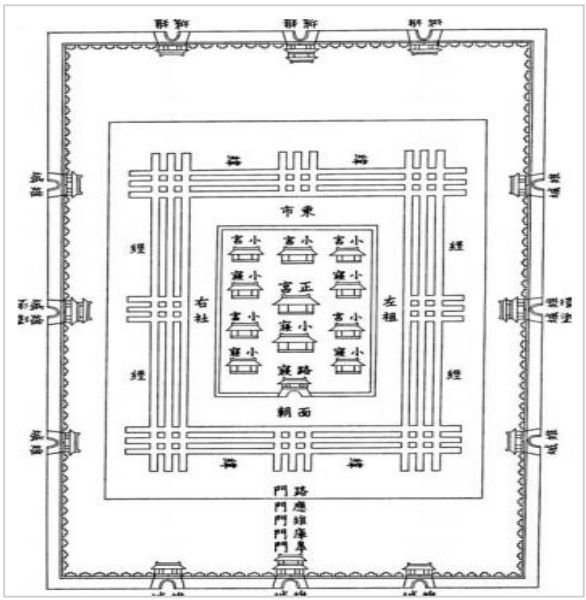

شكل رقم 2.2.3.: مسقط يُظهر مركزية قصر الملك في تخطيط المدن في عهد مملكة تشو بالصين، حيث يجب عبور ثلاثة أسوار للوصول للقصر في الوسط مما يؤكد على اهمية حماية الامبراطور الذي يعتبر بقاءه بقاء للمملكة. المصدر: (سميث،2007)

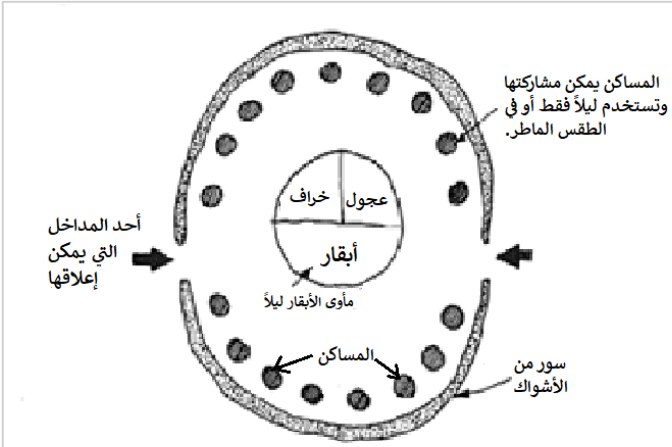

شكل رقم 2.2.4: مسقط يوضح مستعمرة بقبيلة الماساي تتوسطها الحظيرة وتحيط بها المساكن في دلالة رمزية على اهمية الأبقار لدى مجتمع الماساي إذ ترتكز حياتهم عليها. المصدر: (رابوبورت، 1969).

صورة رقم 2.2.2: توضح مستعمرات لقبائل الماساي- المصدر: خرائط قوقل

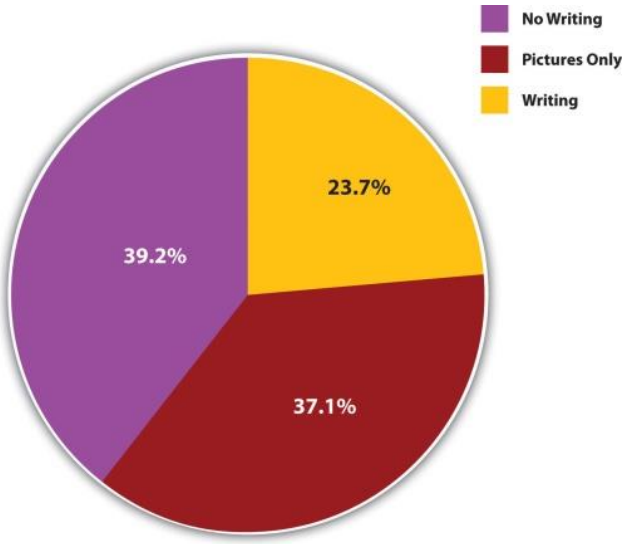

الشكل 2.2.5: يوضح نسبة اللغات المكتوبة و المُعبّر عنها بالصور و المنطوقة فقط (عينة ثقافية قياسية)- المصدر: https://open.lib.umn.edu/sociology/chapter/3-2-the-elements-of-culture/ نوفمبر 2018

2.2.3.3 اللغة:

ويمكن تعريفها أنها رموز منطوقة متعارف عليها بين أفراد المجموعة، يتعلم الأطفال لغتهم الأم خلال أعوامهم الأولى، واللغة يمكن أن تكون منطوقة فقط أو منطوقة ومكتوبة أو معبراً عنها بالصور.

تؤثر اللغة على طريقة تفكيرنا وكيفية تصورنا للعالمين الاجتماعي والمادي، فبناء على فرضية إدوارد سابير وبنجامين لي وورف التي تجادل أن الناس لا يستطيعون بسهولة فهم المفاهيم واستيعاب الأشياء، ما لم تكن لغتهم تحتوي على مسميات لتلك الأشياء، وكمثال على ارتباط اللغة بطريقة نظرتنا للعالم يمكن أن نقول أن وجود كلمات مثل رجل الإطفاء ورجل البريد إلى جانب صور رجال في هذه الوظائف يرسل رسالة للأطفال أن هذه الوظائف وظائف ذكورية وبالمثل يمكن أن نتحدث عن استخدام الضمائر فبعض اللغات لا تميز بين المذكر والمؤنث مثل اللغة النوبية وكثير من اللغات الأفريقية بينما البعض الآخر من اللغات يميز بين الذكور والإناث وذلك يدلل على رؤى ثقافية معينة لدى تلك المجتمعات (libraries ,2018).

وهنا ربما يمكننا الإشارة إلى مقولة المعماري حسن فتحي في كتابه عمارة الفقراء حين ذكر أن العمارة هي اللغة البصرية التي يطورها كل مجتمع بما يتلائم مع هويته (فتحي، 1969).

2.2.3.4 العادات والتقاليد:

- **العادات: العادة هي اتجاه مكتسب او ميل للتصرف بطريقة معينة تتسم بالآلية و اللاشعور و تنقسم العادات إلى:**

العادات الفردية والعادات الجماعية وهي ما يعنينا في بحثنا هذا فلكل مجتمع طرق وأساليب متفق عليها لتناول الطعام مثلاً أو إجراء المحادثات او الإلتقاء في الحفلات او التقدم للخطبة أو تربية الصغار والعناية بالمسنين ..إلخ.

- **التقاليد: هي العادات الموروثة أي التي يقلد فيها المجتمع أسلافه (التركي، 2004).**

2.2.3.5 القيم:

هي مقياس للانتقاء من بين البدائل الإجتماعية بقصد تحقيق المصالح وللوصول لأهداف معينة وهي عنصر آخر مهم من عناصر الثقافة بناء عليها يحدد المجتمع ما هو جيد أو سيئ ومرغوب فيه أو غير مرغوب فيه. وهي التي تشكل المعايير الثقافية التي سنتعرف عليها لاحقاً (التركي، 2004).

في اليابان على سبيل المثال القيمة المركزية هي الانسجام الاجتماعي؛ حيث يركز اليابانيون بشكل كبير على العلاقات الاجتماعية المتناغمة ويكرهون الصراع؛ فعندما تنشأ نزاعات بين الأشخاص يبذل اليابانيون قصارى جهدهم لمحاولة حل النزاعات بطريقة ودية. وبالتالي فإن الدعاوى القضائية غير شائعة بل غالباً ما يُعتبر المواطنون الذين يلجأون إليها سيئين في نظر المجتمع (libraries ,2018).
بينما في الولايات المتحدة الوضع مختلف تمامًا، فالثقافة الأمريكية تمجد حقوق الفرد وتعزز المنافسة في عالم الأعمال والرياضة وفي مجالات الحياة الأخرى. الدعاوى القضائية حول القضايا الأكثر تفاهة شائعة جدا ومتوقعة، فاليابانيون يقدرون الوئام والشعور الجماعي و بالتالي فإن معاييرهم تتغاضى عن تأكيد الذات في العلاقات بين الأشخاص، ترفض الدعاوى القضائية لتصحيح الأخطاء المتصورة ، بينما الأمريكيون يقدرون التنافس والفردية و بالتالي فإن معاييرهم تعزز التأكيد على الذات في العلاقات وتشجع على استخدام القانون لمعالجة جميع أنواع المشاكل، الشكل التالي يوضح نسب من يوافقون على أن المنافسة مفيدة للغاية من الشعبين الأمريكي و الياباني:

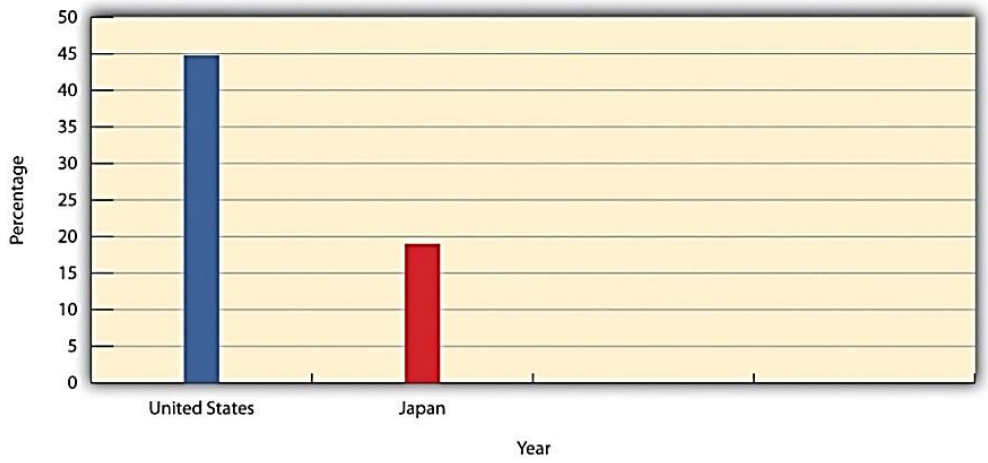

الشكل 2.2.6: يوضح النسبة المئوية للذين يرون أن المنافسة مفيدة للغاية في كل من اليابان والولايات المتحدة الأمريكية

المصدر: https://open.lib.umn.edu/sociology/chapter/3-2-the-elements-of-culture/ ،2018

2.2.3.6 المعايير والأعراف:

تمثل الأعراف ما درج الناس على اتباعه من قواعد مع شعورهم بضرورة احترامها، فكل عرف هو عادة وليس العكس (التركي، 2004).

وتنقسم تلك القواعد إلى قسمين القواعد الرسمية (القوانين) والقواعد غير الرسمية، القواعد الرسمية مثل قوانين ولوائح البناء وقوانين المرور ... إلخ (libraries,2018).

بينما القواعد غير الرسمية مثل عادات الأكل والجلوس والتي تختلف من مجتمع لآخر كما تشمل المعايير الخاصة بمسافات التقارب الملائمة بين الأفراد والتي صنفها هول للأنواع الرئيسية التالية :

أ) النوع الثابت الملامح. ب) شبه الثابث الملامح. ج) المتغير الملامح.

والأخير يمكن تقسيمه إلى أربعة أنواع :

- الفراغ الحميم (المدى القريب حتى 15 سم، المدى البعيد من 15 سم حتى 45 سم).
- الفراغ الشخصي (المدى القريب 45 سم حتى 75 سم، المدى البعيد 75 سم حتى 120 سم).
- الفراغ الاجتماعي (المدى القريب 120 سم حتى 250 سم، المدى البعيد 250 سم حتى 400 سم).

- الفراغ الجماهيري (المدى القريب 4 متر حتى 8 متر، المدى البعيد 8 متر حتى ما لا نهاية).

تختلف هذه الأبعاد من ثقافة لأخرى فما يراه العربي مسافةً اعتيادية يمكن أن تكون بالنسبة لشعب آخر مسافةً غير عادية، والمسافة هنا قيمة تقاس كمياً؛ لكنها تحمل مدلولاً رمزياً بكل ثقافة، و التشكيل العمرانى والمعماري يختلف من ثقافة لأخرى وفقاً لتلك المسافات (الزين، 2017).

2.2.4 الثقافة والمجتمع:

يتميز المجتمع عن الإجتماع العددي المجرد من خلال نمط العلاقات الخاص الذي يربط بين أفراده و الذي يتطور باستمرار وهذا النمط يمكن أن نطلق عليه الثقافة، وهنا قد يتبادر إلى الذهن سؤال وهو: هل يتكون المجتمع أولاً ومن ثم الثقافة أم العكس؟ وللإجابة على هذا التساؤل لابد أن ننظر لطبيعة العلاقة بينهما والتي هي علاقة حامل بمحمول فالمجتمع حامل للثقافة وعليه فإن الحامل شرط لوجود المحمول كما أن المحمول شرط لوجود الحامل والحديث عن أحد الطرفين يعني تلقائياً الحديث عن الآخر(اسماعيل،2015).

وتعريف فيرث المذكور في الجدول(2.2.1) أشار بوضوع للارتباط الوثيق بين المصطلحين.

2.2.5 التغيرات الثقافية:

من الأمور البديهية أنه لا توجد ثقافات ساكنة على الإطلاق فمهما اتسمت ضوابط المجتمع بالشدة والصرامة حفاظاً على ثقافاته الموروثة فإنه لا بد أن يطرأ التغير الثقافي بأي شكل من الأشكال.

و يمكن أن نعرف التغيرات الثقافية بأنها التغيرات التي تحدث في أي فرع من فروع الثقافة أو عناصرها بما في ذلك الفنون والعلوم والفلسفة والتقنية كما تشمل صور وقوانين التغير الإجتماعي نفسه بالإضافة للتغيرات التي تحدث في أشكال وقواعد النظام الإجتماعي (ستيتة، 2010).

يتعرض كل مكون من مكونات الثقافة للتغير مع مرور الوقت فلا يمكن وصف الثقافة أو أي من مكوناتها بالثبات، وأبسط مثال للتغيرات الثقافية موضات الملابس وقصات الشعر المتغيرة على الدوام، كما أن قيم ومعايير المجتمعات تتعرض للتغيير أيضاً فعلى سبيل المثال الرسم البياني التالي يوضح التدني المستمر في نسبة الذين يقولون أن النساء يجب أن يهتممن بإدارة بيوتهن بدلاً عن العمل السياسي بالولايات المتحدة الأمريكية:

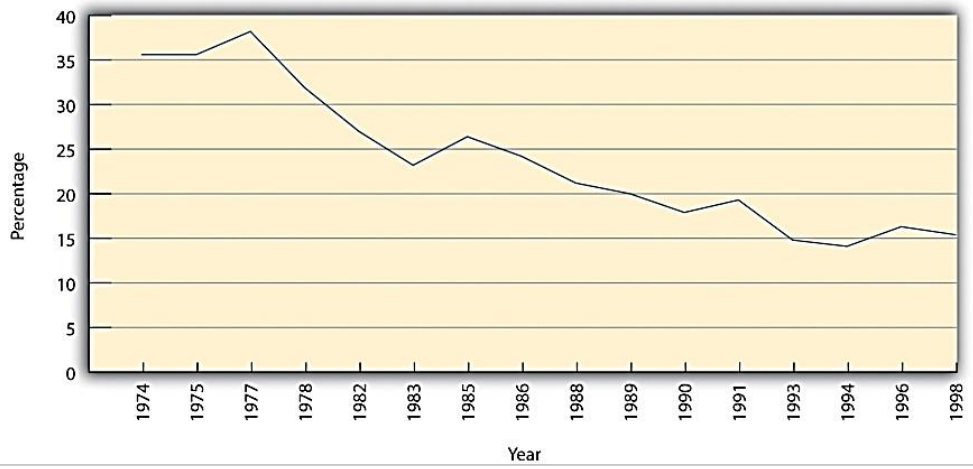

الشكل 2.2.7: يوضح تدني نسب الأمريكيين الذين يؤيدون أن النساء يجب أن يهتممن بإدارة بيوتهن بدلا عن العمل السياسي. المصدر: https://open.lib.umn.edu/sociology/chapter/3-2-the-elements-of-culture / نوفمبر-2018

2.2.5.1 أنماط التغير الثقافي:

يمكن أن نصنف التغيرات الثقافية إلى نمطين رئيسيين وهما:

- تغيرات ثقافية ناجمة عن عوامل داخلية مثل الاختراع والاكتشاف والتجديد.
- تغيرات ثقافية ناجمة عن عوامل خارجية مثل الاتصال والاستعارة.

من الصعب الفصل التام بين النمطين فغالباً ما يتداخلان ويؤثر كل منهما على الآخر.

ومن المهم الإشارة إلى أن حدوث تغيير في العناصر المادية للثقافة يرتبط بحدوث تغيير في العناصر غير المادية والعكس صحيح.

وقد يتبادر إلى الذهن أن معدل التغيير في العناصر المادية للثقافة يفوق نظيره في العناصر غير المادية، لكن النظرة المتفحصة تكشف عن حالات يحدث فيها العكس تماماً، فعند سكان استراليا الأصليين تزداد درجة الحفاظ على العناصر المادية للثقافة وتقل في التنظيمين الاجتماعي والديني وبالتالي يطرأ التغيير فيهما بمعدل أسرع من تغير العناصر المادية، بينما في المجتمع العربي من السهل أن يتغير الفأس والمحراث البلدي إلى جرار حديث في حين أن المعتقدات والعادات لا تتغير إلا بنسبة ضئيلة للغاية، وعلى وجه العموم فقد وجد العلماء أن معدل التغير الثقافي يزداد كلما تعرض المجتمع

لأزمة ما، كما أن التغيرات الثقافية الناتجة عن العوامل الخارجية تخضع لانتقائية المجتمع فالمجتمع يقبل ما يراه ملائماً (ستيتة ,2010).

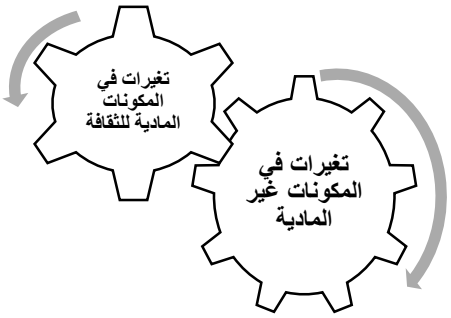

الشكل 2.2.8: يوضح الارتباط بين التغيرات الثقافية في العناصر المادية و العناصر غير المادية للثقافة.
المصدر: الباحثة

2.2.5.2 آليات التغير الثقافي:

تحدث التغيرات الثقافية في أي مجتمع عبر محورين رئيسيين يتأثران ببعضهما:

- المحور الرأسي من خلال جدلية القديم والجديد.
- محور أفقي من خلال تلاقح الثقافات المختلفة.

2.2.5.2.1 المحور الرأسي للتغيرات الثقافية من خلال جدلية القديم والجديد:

الانتقال الزمني للثقافة من جيل إلى جيل يؤدي لحدوث تغيرات ثقافية في المجتمعات من خلال آليتي الإضافة والإلغاء وتحدث الإضافة عبر عوامل الاختراع والاكتشاف والتجديد المذكورة سابقاً وكمثال للتغيرات الثقافية عبر الزمن مسألة تعليم البنات في السودان فقد كان تعليم البنات مرفوضاً تماما باعتبار أن حياة المرأة يجب تكريسها للزوج والأبناء، وأول جيل نادى بتعليم البنات في السودان تناوله من قبيل الترغيب باعتباره سيولد نساء أكثر قدرة على رعاية الزوج لا من حيث أن التعليم حق للمرأة ثم حدثت تغيرات ثقافية للمجتمع بات يرى من خلالها أن التعليم حق ثابت للمرأة كانسان.

المخطط التالي يوضح آلية التغيرات الثقافية الناتجة عن الإنتقال الزمني للثقافة وفيها يظهر أن أي عناصر ثقافية جديدة تحوي جزء من العناصر السابقة لها.

إلغاء إلغاء إلغاء إلغاء

قديم+ جديد= قديم مجدد+ جديد1= قديم مجدد1+ جديد2= قديم مجدد2+.... وهكذا إلى ما لا نهاية

إضافة إضافة إضافة

شكل رقم 2.2.9: آلية التغير الثقافي الناتج عن انتقال العناصر الثقافية عبر الزمن- المصدر: اسماعيل، 2015

وهنا يمكننا أن نشير إلى العمارة والعمران كأحد مكونات الثقافة المادية فهي أيضاً تتعرض للتغيير عبر الزمن (المحور الرأسي) من خلال عمليات التجديد والتآكل للشكل والمعنى، فاستهلاك (تآكل) الاشكال والرموز عبر الزمن شئ طبيعي وكذلك تجديد (استعادة) بعض هذه الاشكال لقيمتها، وربما تتم الاستعادة بمعاني تختلف عن تلك القديمة.

وفي الغالب فإن التآكل والتجديد لكثير من الاشكال والرموز يتم في منظومة حلزونية، فالقيم هنا لا تندثر وإنما تخبو مؤقتاً لتنشأ في وقت آخر يكون فيه المناخ الفكري والايديولوجي أكثر ملائمة.
وتتغير قيم الأشكال العمرانية عبر الزمن نتيجة لتغير وظيفتين أساسيتين:

- وظيفة أساسية لها رموزها.
- وظيفة ثانوية لها ايحاءاتها.

فهاتان الوظيفتان تتغيران مع مرور الزمن في خمس حالات:

حالة اولى: وفيها يتلاشى معنى الوظيفة الأساسية وتحتفظ الوظيفة الثانوية بمعناها كمثال البارثنون بأثينا

حيث تلاشت عبر الزمن وظيفته الأساسية كمعبد وتبقت دلالات الوظيفة الثانوية كأيحاء للقوانين المعمارية ونوعية التفكير الأغريقي القديم و الكلاسيكى.

حالة ثانية: تتلاشى فيها الوظيفة الثانوية وتبقى الوظيفة الأساسية موجودة كالمصابيح القديمة التي تستعمل حتى اليوم في بعض المنازل تظل وظيفتها الأساسية قائمة ويختفي المعنى الرمزي لتكوينها وإيحاءاتها.

حالة ثالثة: تتلاشى فيها الوظيفة الأساسية وكذلك معظم الوظائف الثانوية بينما تستبدل الوظائف الثانوية الأخرى بوظائف جديدة مثل الأهرامات حييث فقدت وظيفتها كمدافن للملوك كما فقدت جزءاً من وظائفها

الثانوية كمرابط فلكية ولكن تم منحها وظائف رمزية أخرى (لأغراض سياحية) لتدلل على أصالة الحضارة الفرعونية.

حالة رابعة وفيها تصبح الوظيفة الأساسية جزء من الوظيفة الثانوية كالمضخات المصممة على شكل سواقي.

حالة خامسة وفيها تتلاشى الوظيفة الأساسية وتستبدل بوظيفة أساسية أخرى وتتبدل دلالات الوظائف الثانوية (سليم،2017).

2.2.5.2.2 محور أفقي من خلال تلاقح الثقافات المتعددة:

بداية يجب أن نشير للعوامل الثي تجعل الثقافات تتباين وهي عديدة لكن أهمها:

أ/ البيئة: سواء البيئة الطبيعية بامكاناتها وظروفها أو البيئة العمرانية.

ب/ التاريخ: ونقصد به كمية التجارب المتراكمة في الثقافة المعينة عبر الزمن وأثر ذلك على التقدم العلمي ورسوخ العادات والتقاليد لدى المجتمع.

ج/ الإنسان: قدرة الأفراد على الإبداع والاكتشاف واسلوب تفاعلهم مع البيئة يؤدي إلى تمايز ثقافة عن أخرى (اسماعيل، 2015).

بناء على العوامل أعلاه تتميز كل ثقافة عن الأخرى لكن تبقى تلك الثقافات في حالة تفاعل مستمر فيما بينها تحدث على إثره التغيرات الثقافية باستمرار، وتكون فيه الهوامش الثقافية هي الأكثر عرضة للتغيير بينما يقل تأثر مركز الثقافة. ويمكن أن نلخص أشكال التبادلات الثقافية التي تحدث بين المجتمعات في ثلاثة أشكال رئيسية هي:

أ. الحمل.

ب. التوصيل.

ت. الإشعاع. (1)

(1) الحمل والتوصيل و الإشعاع مصطلحات فيزيائية تعبر عن طرق انتقال الحرارة قام الكاتب ابكر آدم اسماعيل باستعارتها للشرح و التوضيح فقط.

أ. الحمل: هو عملية انتقال جماعة إلى جماعة أخرى وتعايشها معها وذلك من خلال عمليات النزوح واللجوء والهجرات الجماعية أو من خلال الاستعمار وتكوين الدويلات والممالك.

ب. التوصيل: هو عملية انتقال بعض مكونات ثقافة ما إلى جماعة أخرى عن طريق أفراد أو جماعات صغيرة تعيش وسط الجماعات الجديدة، أو نقل تلك الجماعات الصغيرة لثقافة المجتمعات الجديدة إلى مجتمعاتهم الأصلية لدى عودتهم، و ذلك ما يحدث خلال عمليات التجارة أو المنح الدراسية أو الحج على سبيل المثال.

ت. الإشعاع: هو عملية انتقال ثقافة ما عن طريق منتوجاتها الفكرية والمادية دون انتقال حامل الثقافة (الانسان) وذلك عبر تبادل المنتوجات المادية ووسائل الاتصال.. إلخ.

وبالطبع تحدث أشكال الحركة والنتقال والانتشار هذه آنياً في كثير من الأحيان والفصل بينها من قبيل الشرح فقط.

2.2.6 خلاصة القسم الثاني من الدراسة النظرية:

تعرفنا في هذا القسم من الدراسة النظرية على ماهية الثقافة بعنصريها الأساسيين المادية منها وغير المادية كما تعرفنا على المقصود من مصطلح التغيرات الثقافية ومحاور حدوث التغيرات الثقافية وأنماطها وكيفية حدوثها، وان التغيرات الثقافية تحدث باستمرار في عنصري الثقافة المادية وغير المادية كما أن أي تغيير يحدث في الجانب المادي للثقافة يترتب عليه تغير في الجوانب غير المادية والعكس صحيح لكن لا يخضع هذا الارتباط لقوانين ثابتة، وتزداد سرعة التغيرات الثقافية عند تعرض المجتمع لأزمة ما.

2.3 العلاقة التبادلية بين ثقافة المجتمع وبيئته العمرانية:

2.3.1 مدخل:

اتضح لنا من الفصل السابق أن البيئة العمرانية تمثل أحد العناصر المادية للثقافة، وهنا قد يلتبس علينا فهم الدراسة باعتبارها رصدا لتغيرات ثقافية ناتجة عن تغير في عنصر ثقافي مادي (البيئة العمرانية) أي تغيرات ثقافية ناتجة عن تغيرات ثقافية، ولإزالة هذا الإلتباس ينبغي أن نؤكد على أن التعريف الذي تبناه الباحث للثقافة هو تعريف رابوبورت الذي ينظر للثقافة باعتبارها أسلوب حياة وهكذا يمكننا أن ننظر للبيئة العمرانية باعتبارها الإطار الذي تمارس ضمنه تلك الأساليب.

كما يسهل هذا التعريف من تطبيق الدراسة على أرض الواقع من خلال رصد الأنشطة اليومية والموسمية لأفراد المجتمع باعتبارها أوضح انعكاس لأسلوب حياة تلك المجتمعات.

2.3.2 الثقافة الانسانية والبيئة :

بداية ارتباط الإنسان بالبيئة يرجع إلى نشأة الاستيطان البشري كاستجابة لحاجة الإنسان للمأوى، وقد تطور الإستيطان البشري الذي بدأ باستخدام الكهوف مروراً بتكوين مساكن بسيطة متنقلة ثم ثابتة إلى تكوين المستوطنات الحضرية والريفية بتعقيداتها الحالية وارتبط تطور المستوطنات البشرية بالتطور الذي شهدته البشرية في شتى المجالات الإقتصادية والثقافية والإجتماعية والتقنية وغيرها.

صورة رقم 2.3.1: نموذج للاستيطان البشري في العصر الحجري الحديث, المصدر :
https://www.almrsal.com/post/299840 نوفمبر 2018

صورة رقم 2.3.2: نموذج للاستيطان البشري في العصر الحجري القديم، المصدر :
https://www.ancientcraft.co.uk/Archaeology/stone-age/stoneage_living.html نوفمبر 2018

الشكل 2.3.1: يوضح الحقب الزمنية للبشرية ابتداء من العصر الحجري الحديث وحتى الآن وفقاً للمؤثرات الثقافية السائدة في كل حقبة

المصدر: https://www.slideshare.net/gayathriselvasegar/human-settlements-78787732 نوفمبر 2018– ترجمة : الباحثة

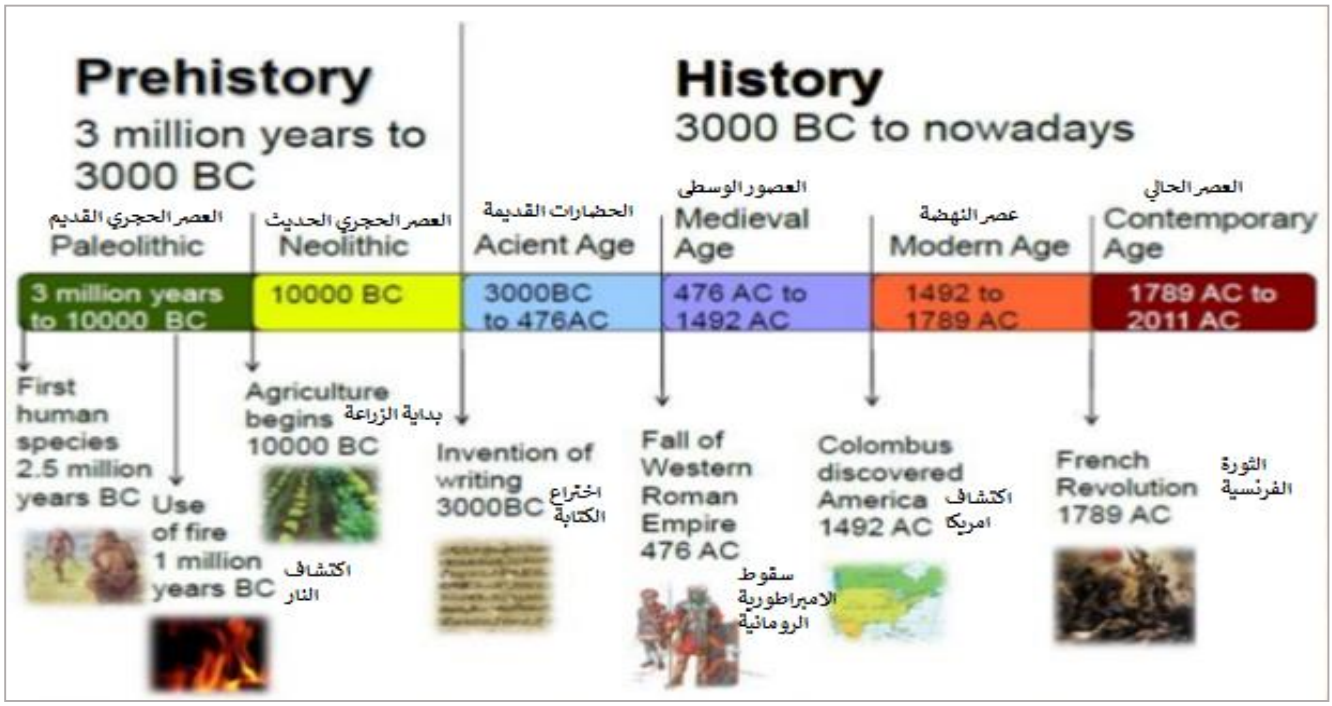

الشكل 2.3.2: يوضح اهم التحولات الثقافية وأثرها في تغير أنماط الاستيطان البشري، المصدر:

https://www.slideshare.net/gayathriselvasegar/human-settlements-78787732 نوفمبر 2018– ترجمة: الباحثة

ومن المهم الإشارة إلى أن اختيار مواقع بعينها لتكوين المستوطنات البشرية يحدث كاستجابة لدوافع ثقافية دينية أو دوافع أمنية أو دوافع اقتصادية. فوفقاً لنظرية كارتر (1977) توجد أربعة أسباب رئيسية لظهور المدن والاستيطان البشري وهي:

- دوافع بيئية فوجود البيئة الملائمة والمياه والأراضي الخصبة تشجع على الإستيطان وممارسة الزراعة ومن ثم تكوين المدن.
- دوافع اقتصادية وفيها تنشأ المدن في ملتقى الطرق التجارية سواء النهرية منها أو البرية وتظهر بداية كأسواق ثم تأخذ شكلها كمدينة.
- دوافع أمنية حيث تنشأ المدن بداية كمراكز عسكرية أو قلاع ثم تتطور لمدن.
- دوافع دينية حيث تشكل المعابد أو المساجد والكنائس اللبنة الأولى لتشكيل المدينة مثل مدينة مكة المكرمة. (عبد الحليم، 2017)

ومما سبق نرى أن ارتباط الثقافة بالبيئة العمرانية يبدأ منذ مرحلة اختيار الموقع، فقد جادل رابوبورت أن اختيار الموقع يستند على أساس ثقافي ديني أكثر من الدوافع الأخرى (رابوبورت، 1969).

وذكر رابوبورت (1969) أن علاقة الإنسان ببيئته الطبيعية تقع ضمن ثلاث احتمالات وفقاً لسلوك الإنسان ونظرته لتلك البيئة وهي كالتالي:

- الطبيعة هي المسيطرة و الإنسان كائن ضعيف أمامها ويظهر ذلك في المجتمعات البدائية الحالية وفي تاريخ البشرية القديم.
- الإنسان والبيئة في حالة تكافل وهنا يرى الانسان نفسة كمسؤول عن الطبيعة وتمثلها عمارة الطين في المجتمعات الريفية بالشرق الأوسط.
- الإنسان هو المسيطر ويستغل الطبيعة بصورة يمكن وصفها بغير المسؤولة إذ ينفصل تمام عن بيئته ويتجاهلها مثل برج خليفة بدبي.

وعليه فإن علاقة الإنسان ببيئتة تخضع لعوامل ثقافية لا يمكن تجاهلها تبدأ من اختياره موقعاً معينا لتشييد مستعمراته إلى الأسلوب الذي يتبعه ليتعاطى مع الموارد الطبيعية المتاحة لتشكيل بيئته تلك.

2.3.3 نظرية رابوبورت (الثبات والتغير):

يرى رابوبورت أنه من أجل التصميم أو التخطيط لأي مجموعة ذات ثقافة محددة نحتاج إلى أن نُعرّف العناصر الثقافية لتلك المجموعة باعتبار أن هناك عناصر ثقافية أهم من غيرها؛ إذ يرى رابوبورت أن هناك عناصر مركزية في أي ثقافة يمكن أن نطلق عليها النواة الثقافية وبقية العناصر تعتبر عناصر ثقافية طرفية، ويرى رابوبورت أن هناك عناصر في البيئة المبنية الشعبية تكون داعمة لتلك النواة الثقافية.

ويقترح رابوبورت في منهجه شيئين:

أولهما: أن نولي اهتمام لمعاني العناصر في البيئة المبنية وأن ندرس التغيرات بدقة (ثبات العناصر لفترات طويلة يعطي إشارة على الأهمية النسبية لتلك العناصر).

وثانيهما: أن نحدد النواة الثقافية للمجتمع ونحدد عناصر البيئة المبنية المرتبطة بها.

كلما قل معدل تغير عنصر ما زاد ذلك من احتمالية انتساب هذا العنصر للنواة الثقافية (الشكل 2.3.3)

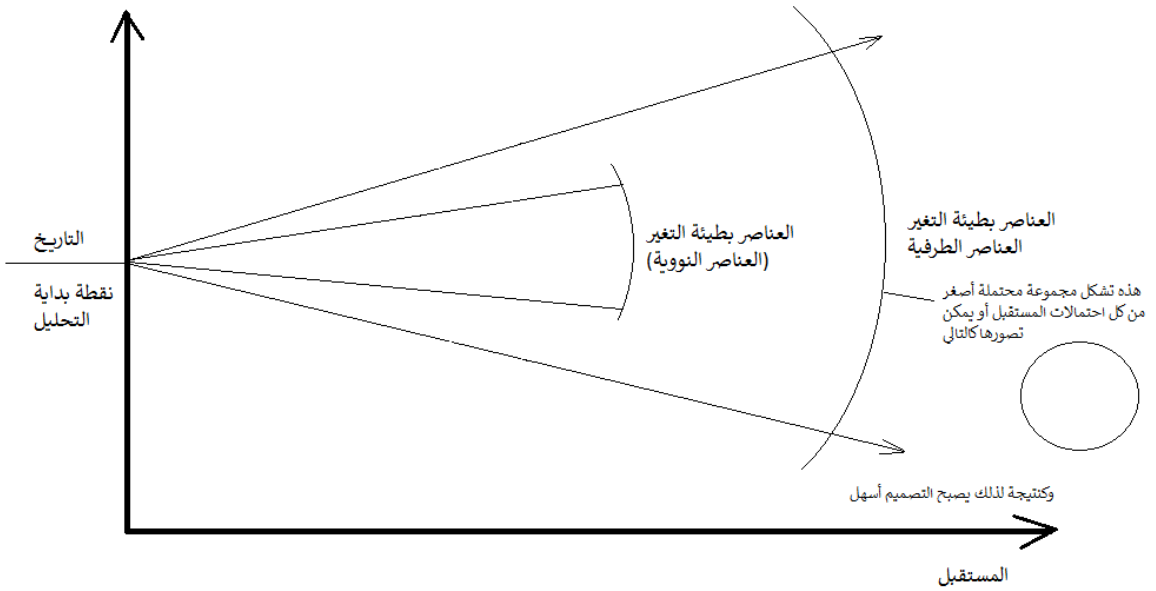

الشكل (2.3.3): النمو، الثقافة والتصميم الداعم. المصدر: ضيف الله، 2018

لكن يجب أن ننتبه إلى أن هناك محددات أخرى قد تسهم في استمرارية بعض العناصر لفترات طويلة رغم رغبة المجتمع في إزالتها وذلك لأسباب اقتصادية أو سياسية أو غيرها، وهذا يعني أن النواة الثقافية لا تحتوي فقط على ما يعتبره الناس مهماً ويودون الاحتفاظ به لمقبل الأيام بل تحوي أيضاً ما يود الناس تغييره بشدة لكن لا حيلة لهم تجاهه (ضيف الله، 2018).

وسيناقش الباحث كيفية تطبيق نظرية الثبات والتغير لرابوبورت في دراسته الحقلية بالباب الثالث من الدراسة.

2.3.4 العوامل الثقافية المؤثرة على عملية التشكيل البنائي:

يرى رابوبورت (1969) أن النظريات التي حاولت تفسير التشكيل البنائي سواء على مستوى المسكن أو على مستوى البيئات المبنية ككل وقعت في خطأ أساسي وهو ميلها نحو الحتمية أو التبسيط المفرط؛ وهي بذلك قد تجاهلت أن شكل المباني هو نتاج تفاعل العديد من العوامل المتداخلة التي تتفاوت في مدى تأثيرها وأن أي تغيير يحدث في أحد تلك العوامل يؤثر على شكل المبنى والمستوطنة ككل.

والمحددات التقليدية لتشكيل المباني هي:

- المناخ. – مواد وتقنيات البناء.
- شكل الموقع. – العوامل الاقتصادية.
- الدين. – الخصوصية والعوامل الاجتماعية.

ويجادل رابوبورت أننا لو اخترنا مناخاً محددا من بين مختلف المناخات ابتداءً من القاسي جدا إلى المعتدل، ثم حددنا مستوى اقتصادي معين ابتداءً من الكفاف إلى الغنى الباذخ، ثم حددنا درجة معينة من التكنلوجيا ابتداءً من المهارات البدائية إلى أعقد الأنظمة التكنلوجية وحددنا درجة تنوع المواد ابتداءً من مادة بنائية واحدة إلى عدد مهول من مواد البناء؛ فرغم تحديدنا لكل عامل من العوامل المذكورة أعلاه إلا أننا سنجد تنوع كبير في الخيارات لا يزال متاحاً؛ وعليه يمكننا أن نجزم بأن الشكل المعماري او العمراني لا يمكن أن يخضع للحتمية.

وقد أكد أكبر (1992) على ذات النقطة وضرب مثالاً على ذلك بمنطقتي مكة والرياض إذ تتسم المباني في مكة القديمة بكثرة الفتحات على واجهات المباني، بينما المباني بمنطقة الرياض القديمة تتميز

بقلة الفتحات على الواجهات رغم تشابه المناخ في المنطقتين، كما أشار أكبر إلى أن الأعراف تتدخل حتى في اختيار مواد البناء المستخدمة، وكمثال لتأكيد ذلك ذكر أكبر أن الأخشاب تستخدم بكثرة في واجهات المباني بمنطقة مكة رغم ندرة الأخشاب في تلك المنطقة بينما يندر استخدام الأخشاب في واجهات المباني بمنطقة الأحساء رغم توفر الأخشاب بها.

ومن المهم أن نشير إلى أنه في البيئات المخططة تظهر محددات إضافية مثل الكثافات السكانية وإضفاء الطابع المؤسسي من خلال لوائح وقوانين البناء ومتطلبات البنوك ومؤسسات التمويل العقاري بالإضافة لحرية وذوق المصمم (رابوبورت، 1969).

وتتفاوت عوامل التشكيل العمراني في مدى تحديدها لشكل المبنى، فالمحددات المادية (المناخ، الموقع، مواد البناء، ...) تعتبر عوامل ذات مدى تحديد ضعيف نسبياً (حرجية منخفضة)، بينما العوامل الإجتماعية الثقافية تعتبر ذات مدى تحديد قوي (حرجية عالية)؛ فما يؤثر حقاً في شكل المبنى –وقياساً عليه البيئة العمرانية– هو تصور الجماعة عن الحياة المثالية.

قسم رابوبورت العوامل الثقافية الإجتماعية التي تؤثر على شكل المسكن إلى خمسة عناصر أساسية؛ وقد حاول الباحث تعميم تلك العناصر ما أمكن بحيث يُنظر لها على مستوى البيئة المبنية ككل وليس المسكن فقط وتلك العناصر هي:

أ. الاحتياجات الأساسية:

والتي تتجسد وفقاً لرابوبورت في الانشطة الأساسية مثل الأكل والنوم والجلوس وتوفير البيئة الملائمة التي تحقق وظيفة المسكن الأساسية باعتباره ملجأ، ويؤكد أن طريقة تلبية تلك الإحتياجات تختلف من ثقافة لأخرى وتؤثر على تشكيل المسكن وفيما يلي تفصيل لبعض تلك الحاجات الأساسية:

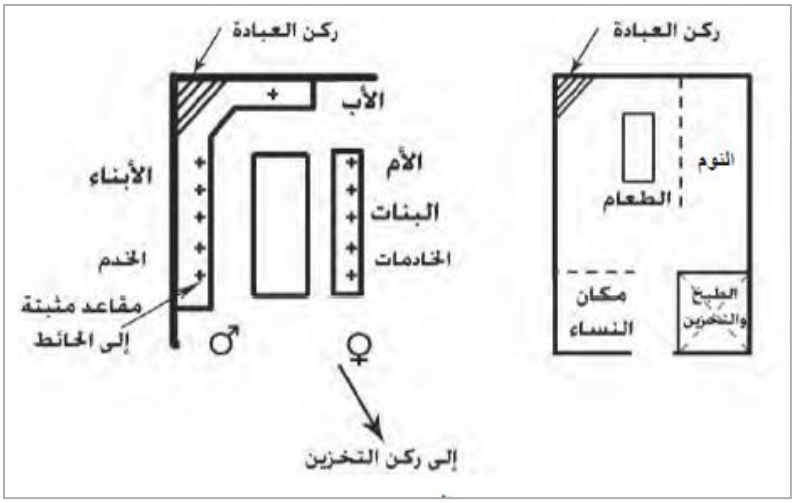

شكل رقم 2.3.4: مسقطان يوضحان أماكن تناول الطعام والمطبخ في المسكن التقليدي الأوروبي على اليمين، و ترتيب أماكن الجلوس لتناولالطعام على اليسار- المصدر: رابوبورت، 1969- ترجمة: التركي (2011)

- الحاجة إلى تناول الطعام:

يؤثر أسلوب تناول الطعام وعاداته على تكوين المسكن وكذلك البيئة العمرانية، ففي بعض المجتمعات يكون المطبخ مبنى مستقل كما في قبائل الماساي بكينيا، وفي بعض المجتمعات تتم عملية الطهي في فناء مفتوح كما في قبائل الإنكا بأمريكا الجنوبية، وفي بعض المجتمعات يأكل الرجال أولاً ثم تأكل النساء والأطفال، وفي مجتمعات أخرى تأكل العائلة مجتمعة بترتيب معين للجلوس كما في المساكن التقليدية الأوروبية (شكل رقم 2.3.4) أو بترتيب عشوائي.

- الحاجة إلى الراحة (الجلوس و النوم):

تفضل بعض الثقافات الجلوس على الأرض (حصير أو سجاد) مما يوجب خلع الحذاء قبل الدخول للمنزل، ويؤثر على نوعية الأثاث المستعمل، بينما تفضل ثقافات أخرى عدم تخصيص فراغ داخل المنزل للجلوس كما لدى قبائل الماساي ويستعيضون عنه بالجلوس في البيئة الطبيعية المحيطة بالمنزل وهنا نرى انه لا يمكن النظر للمسكن بمعزل عن المستوطنة أو البيئة المبنية.

صورة رقم 2.3.3: الجلوس خارج المنزل لدى قبائل الماساي- المصدر: https://www.heleninwonderlust.co.uk/2014/02/ethical-tribal-visits/ نوفمبر2018

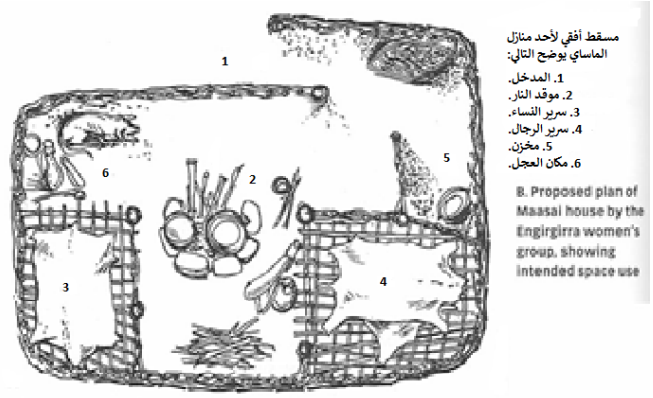

شكل رقم 2.3.5: مسقط أفقي لأحد منازل قبيلة الماساي، المصدر: https://www.whitworth.lancs.sch.uk/userimages/Website/Summer%20Revision/Y8/Geog/The%20Maasai%20People.pdf نوفمبر 2018- ترجمة: الباحثة

ب. تكوين العائلة

يوجد اختلاف كبير في بناء العائلة وفقاً لاختلاف الثقافات، فهناك الاسرة البسيطة المكونة من الأم والأب والأبناء غير المتزوجين، وهناك العائلة الممتدة المكونة من أكثر من جيل، وهناك الأسر متعددة الزوجات؛ ووفقا لتنوع انماط الأسر تتعدد تشكيلات المباني.

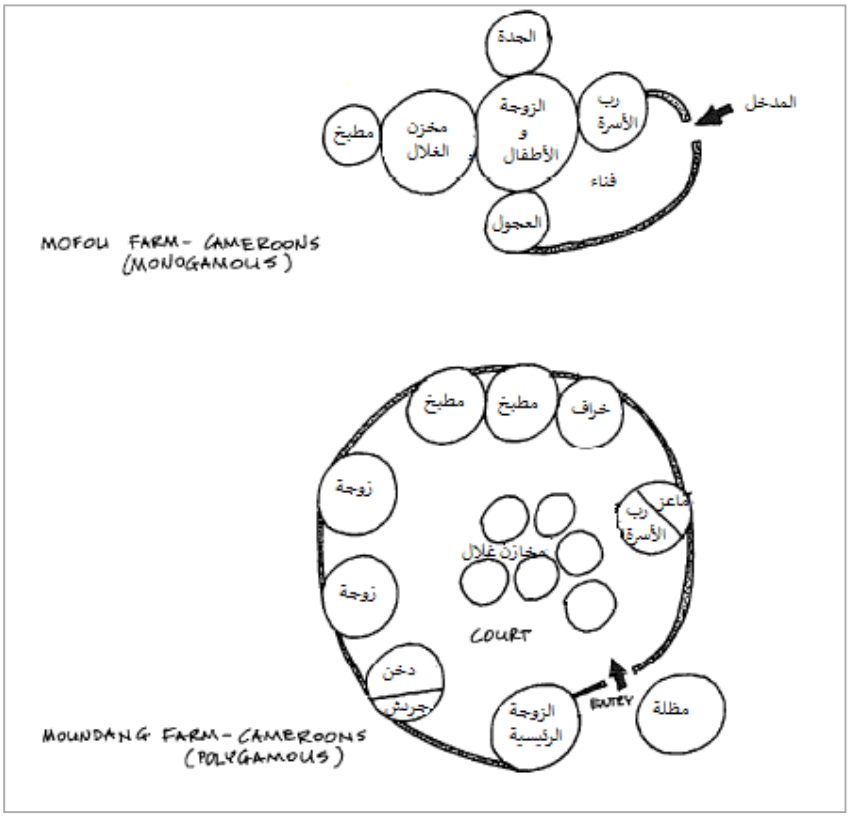

شكل رقم 2.3.6: يوضح مسقطين لمسكنين من نفس المنطقة في الكاميرون تباينا في التشكيل وفقا لاختلاف تكوين العائلة في كلٍ؛ في الأعلى مسكن لأسرة ممتدة مع وجود زوجة واحدة، وفي الأسفل مسكن لأسرة نووية متعددة الزوجات.

المصدر: رابوبورت (1969)- ترجمة: الباحثة

ث. وضع النساء:

للنساء وضعية خاصة في أغلب المجتمعات فبعض المجتمعات تميل لعزل النساء ومنحهن خصوصية كبيرة كما في المجتمعات المسلمة وقد يمتد هذا العزل للنساء ليشمل الفراغات العامة للبيئة الحضرية وليس المنزل فقط والشكل التالي يوضح أحد شوارع مدينة غدامس على الحدود الليبية الجزائرية حيث تستخدم النساء أسطح المنازل كمعابر للانتقال من منزل لآخر بينما يستخدم الرجال الممرات على الأرض.

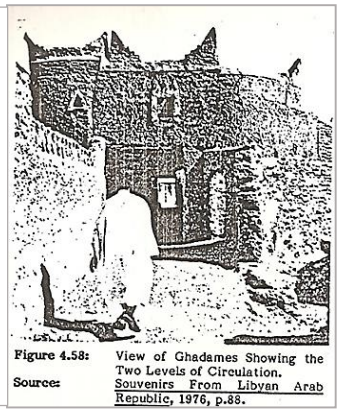

صورة رقم 2.3.4: صورة تظهر مساري الحركة المنفصلين بمدينة غدامس.

المصدر: (الزين، 2017)

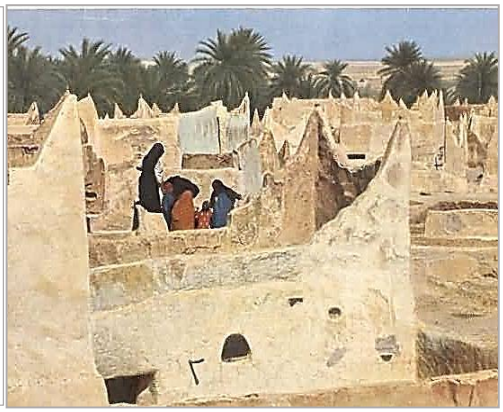

صورة رقم 2.3.5: تظهر نساء يعبرن الطريق العلوي المخصص لهن.

المصدر: http://mirathlibya.blogspot.com/2012/07/

نوفمبر2018

ج. الخصوصية:

بعض المجتمعات لا تعطي أي أولوية تجاه الخصوصية، وبعضها الآخر تمثل الخصوصية لديه أولوية كبيرة، فالمساكن بقرى الدلتا بمصر تواجه الشارع بواجهات شبه مصمتة لتحقيق قدر من الخصوصية لسكان المنزل ويُعتمد الفناء الداخلي للتهوية والإنارة (الصورة 2.3.6)، وعلى مستوى المستوطنة يمكن ملاحظة الحرص على تحقيق الخصوصية من خلال التدرج في الفراغات من فراغات عامة إلى شبه عامة ثم شبه خاصة ثم فراغات خاصة وغيرها من المظاهر.

صورة رقم 2.3.6: توضح المسكن الريفي بدلتا مصر وهو يطل على الشارع بواجهات شبه صماء. المصدر: التركي، 2011

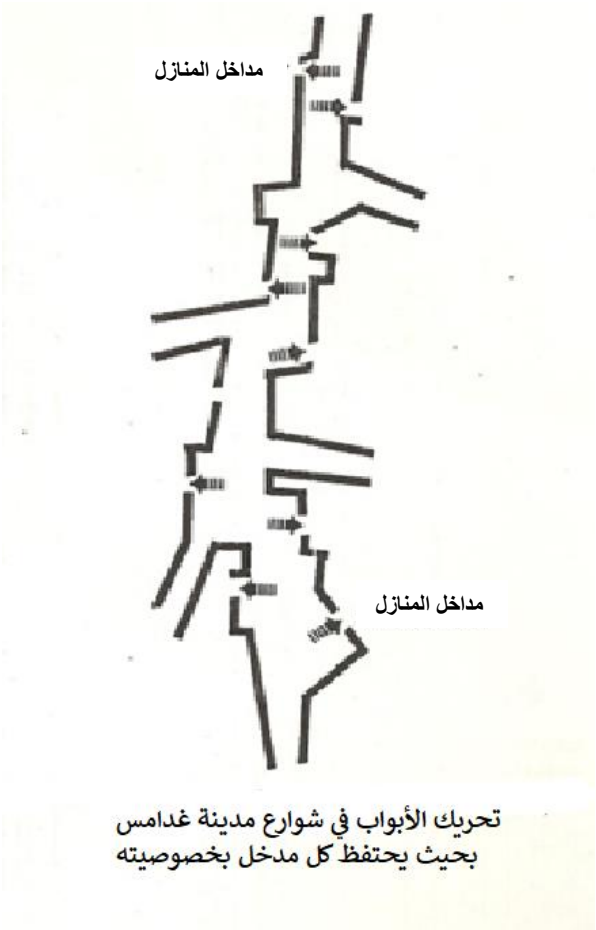

تحريك الأبواب في شوارع مدينة غدامس بحيث يحتفظ كل مدخل بخصوصيته

شكل رقم 2.3.7: مسقط يوضح التأكيد على الخصوصية من خلال وضعية مداخل المساكن بأحد شوارع مدينة غدامس، المصدر: الزين، 2017- ترجمة: الباحثة

د. التواصل الإجتماعي:

يؤثر التواصل مع الآخرين على تشكيل المسكن والبيئة العمرانية ككل وتختلف أهمية التواصل وكيفيته من مجتمع لأخر، فبعض المجتمعات يكون مكان اللقاء والتواصل هو المقهى او الأماكن العامة وفي هذه الحالة لا تكون هناك حوجة لتوفير فراغ مخصص للاستقبال داخل المنزل وفي المقابل يتوجب تكوين مساحات مفتوحة وأماكن تجمع للعامة في تصميم المستوطة والعكس صحيح.

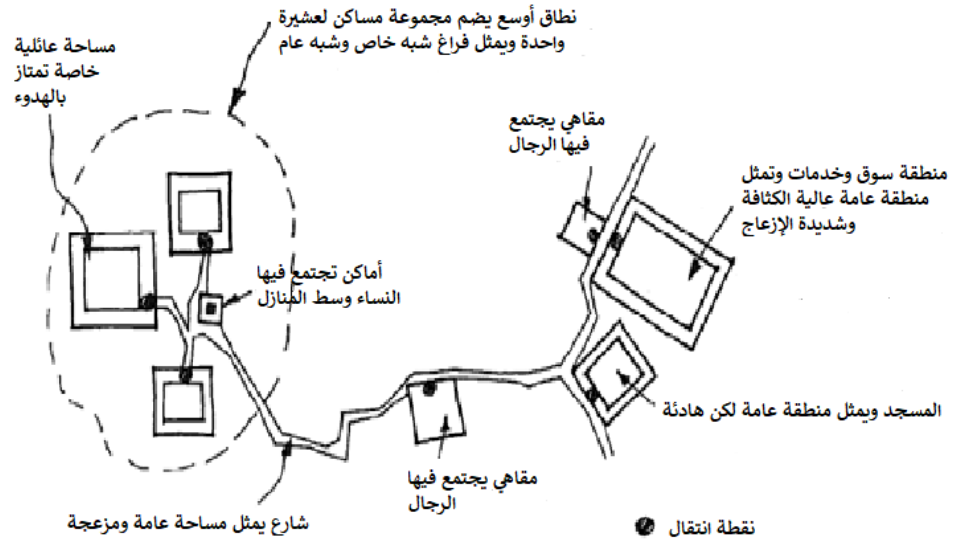

شكل رقم 2.3.8: مسقط يوضح مجاورة سكنية بأصفهان تظهر فيها المقاهي كأماكن للقاء. المصدر: رابوبورت (1969)- ترجمة: الباحثة

2.3.5 خلاصة القسم الثالث من الدراسة النظرية:

تبين لنا من خلال الاستعراض النظري لهذا القسم أن ارتباط الثقافة بالاستيطان البشري بدأ منذ العصر الحجري وأن أنماط الاستيطان تغيرت تباعاً بناء على التغيرات الثقافية التي شهدتها البشرية، وأن ارتباط الثقافة بالعمران يبدأ منذ مرحلة اختيار الموقع وأنه رغم وجود العديد من العوامل التي تؤثر على شكل المبنى إلا ان العوامل الثقافية الإجتماعية هي الأكثر تحديدا لأشكال المباني والعمران، كما ناقشنا خلال الفصل نظرية الثبات والتغير لرابوبورت والتي تشير إلى أن معدل ثبات العامل مع مرور الزمن يدل على أهمية هذا العامل بالنسبة لثقافة المجتمع؛ فكلما زاد معدل تغير العامل خلال الزمن كلما دلل ذلك على عدم أهميته والعكس صحيح مع مراعاة وجود بعض المحددات التي قد تمنع تغيير العناصر رغم رغبة المجتمع في إزالتها، واختتم الفصل بذكر العوامل الثقافية الإجتماعية الخمس التي اعتبرها رابوبورت العوامل الأكثر تحديداً لشكل المسكن فطريقة تعامل المجتمع ثقافياً مع تلك العوامل هو ما يحدد شكل المسكن.

2.4 الثقافة النوبية والعمران النوبي:

2.4.1 موقع بلاد النوبة:

تمتد بلاد النوبة في دولة مصر من اسوان حتى الحدود المصرية إلى الجنوب قليلاً من أبو سمبل، بينما تمتد في جمهورية السودان من حدود البلاد شمالاً حتى جنوب دنقلا حيث ينحني النيل إلى الاتجاه الشمالي الشرقي، والمناخ في بلاد النوبة صحراوي جاف تنعدم فيه الأمطار وتهب الرياح الشمالية الجافة طوال السنة وتشتد شتاء حاملة العواصف الرملية (وينزل، 2007).

يتسم موقع بلاد النوبة بالعزلة فهي منطقة نائية تحيط بها الحواجز الطبيعية فمن الشرق والغرب هي مقطوعة عن العالم بالصحارى الممتدة ومجرى النهر في المنطقة النوبية مسدود بالعديد من الشلالات التي تُعيق التواصل عبر النهر (دفع الله، 2003).

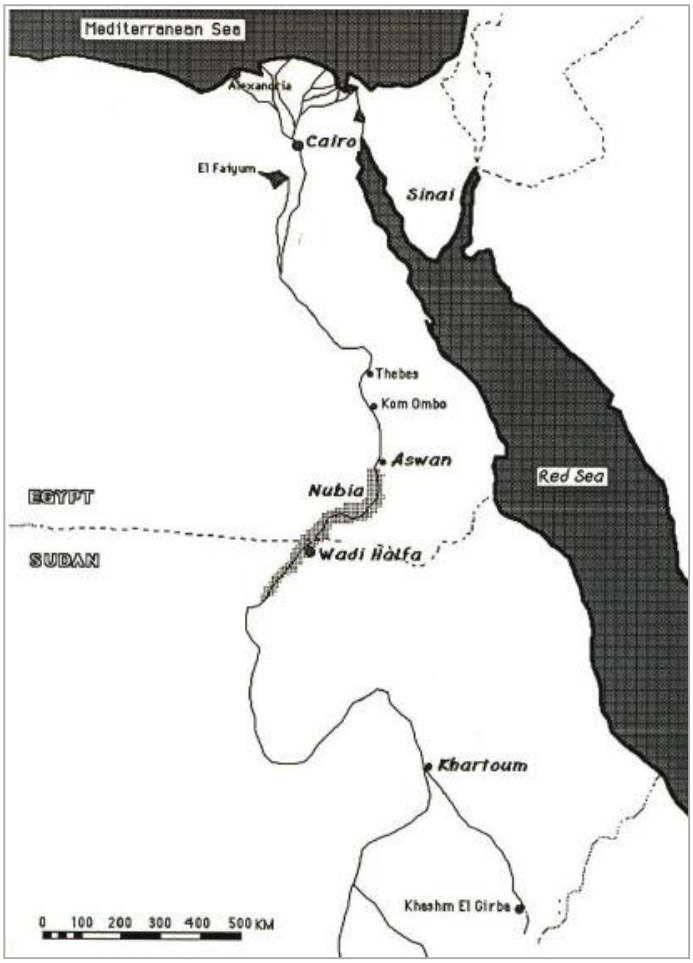

شكل رقم (2.4.1): خارطة توضح موقع بلاد النوبة والمنطقتين البديلتين اللتين هُجر إليهما المتأثرين بقيام السد العالي في كل مصر والسودان.

المصدر: (محجوب، 1990)

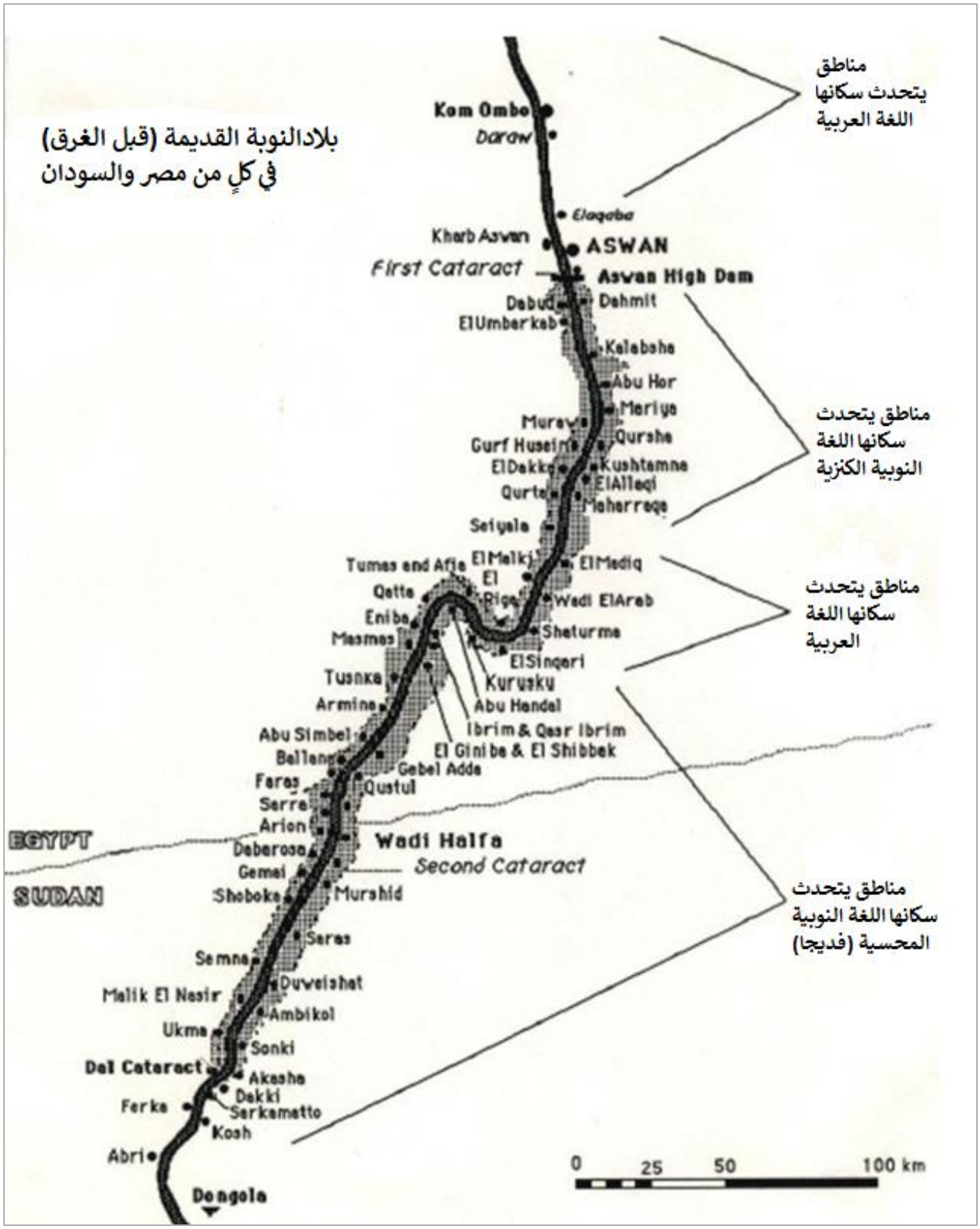

شكل رقم (2.4.2): خارطة توضح القرى النوبية التي غمرتها مياه السد لعالي مع توضيح اللهجات المستخدمة في تلك القرى.

2.4.2 أصل النوبيين:

ادعى عالم الإجتماع سلقمان في كتابه (أجناس إفريقيا) أن النوبيين ينتمون إلى الجنس الحامي الإفريقي، وأنهم ينتمون إلى نفس الأصل الذي انحدر منه قدماء المصريين وقبائل البجا بشرق السودان، لكن لا يُعرف بالضبط من أين جاء أسلافهم ليستوطنوا بلاد النوبة.

ويميل (أ.ج. آركل وبروفيسور بلملي) إلى القول بأن أصولهم جاءت من (بُنت) ببلاد الصومال. ويقول (ليزلي قرينر) –بغير تأكيد جازم– أن ثقافتهم آسيوية أكثر من أي تأثير آخر، ويفترض أنهم جاءوا من آسيا عبر البحر الأحمر.

ومهما كان الجدل حول هذه المسألة فإننا سنفترض أنهم حاميين حتى تثبت الأبحاث غير ذلك، وطوال الفترة المسيحية –حوالي 800 عام– ظل النوبيون محافظين على دمائهم الحامية، وحينما حدثت هجرات العرب إلى بلاد السودان في منتصف القرن الثامن الميلادي كان النوبيون أول المتأثرين بها حيث اختلط النوبيون بالعرب و ارتبطوا بأواصر المصاهرة غير أنه لا يوجد مرجع تاريخي يحدد حجم الوجود العربي في بلاد النوبة، وفي القرن التاسع عشر اختلط الدم التركي بالدم النوبي فقد تزوج الكُشّاف (عمال صغار عينهم الأتراك لإدارة القرى) بالنساء النوبيات (دفع الله، 2003).

2.4.3 اللغة النوبية:

هي لغة نيلية صحراوية تنتمي إلى عائلة اللغات الأفريقية الآسيوية واللغات البربرية وعدد الناطقين بها حوالي 11 مليون نسمة موزعين بين السودان ومصر، وفي الفترة بين القرن 8–15 كانت النوبية تكتب بالأبجدية اليونانية وقام النوبيون بإضافة حروف نوبية خالصة لما استُعصي رسمه من حروف منطوقة بالنوبية دون وجود مقابل لها في اليونانية.

يمكن تقسيم اللهجات النوبية إلى فرعين رئيسيين هما النوبية النيلية والنوبية الجبلية وهي التي يتحدث بها سكان جبال النوبة في غرب السودان، بينما تنقسم اللهجات النوبية النيلية إلى: (أنظر الخارطة رقم 2.4.2).

- النوبين (أي "نبين") ويتحدث بها في شمال السودان سكان مناطق حلفا والسكوت والمحس ويطلق عليه مجازاً في جنوب مصر "فاديجا" ويتحدث بها النوبيون داخل الحدود المصرية من شمال حلفا إلى منطقة الشلال.
- الاشكرين ويتحدث بها أهل دنقلا في شمال السودان ويطلق عليها مجازاً الدنقلاوية كما يستخدمها الكنوز سكان (الشلال) في جنوب مصر وهم في أقصى شمال المنطقة النوبية (ويكيبيديا، 2019).

2.4.4 الإقتصاد والمجتمع النوبي:

يعتمد النوبيون في اقتصادهم على الزراعة المروية والتي تأثرت بطرق الري القديمة مثل الساقية، ويزرع النوبيون بصورة أساسية كل من النخيل والذرة والقمح وتشكل تلك المحاصيل غذائهم الأساسي (وينزل، 2007).

ومن السمات البارزة للمجتمع النوبي الأثر الذي خلفته الهجرة الجماعية والفردية للرجال في منتصف العمر من القادرين على العمل، إذ أوضحت الاحصاءات التي أجريت قبيل التهجير العدد المهول للأسر التي غاب عنها عائلها نتيجة للهجرة، وغالباً ما تكون الهجرات لمناطق بعيدة بحيث يصعب على المهاجرين زيارة أسرهم سنوياً مما يتسبب في اصطلاء الزوجات بنار الهجر الطويل وحرمان الأطفال من آبائهم وذلك ما أوضحته الدراسات التي قام بها اختصاصيو الطب النفسي قبيل التهجير. وغالباً ما تُترك تلك الأسر في كنف الجد أو الخال (أسر ممتدة) وتتحمل المراة النوبية أعباء الزراعة والحصاد لغياب الزوج، ولعلّه من المهم الإشارة إلى أنه عندما تم عمل حصر لأشجار النخيل في منطقة حلفا من اجل التعويضات وُجد أن كل (الصمديين) – رؤساء المزارعين–كن من النساء (دفع الله، 2003).

وقد أشار (محجوب، 1990) إلى أن أشجار النخيل لدى النوبة عادة ما كان يشترك فيها ثلاثة شركاء اولهم مالك الشتول والذي عادة ما يكون ممن يعملون خارج القرية أو من لا يملكون أراضي للزراعة، أما الشريك الثاني فهو مالك الأرض والذي عادة يكون من النوبيين المهاجرين أيضاً، أما الشريك الثالث –والذي يكون في الغالب امرأة– فهو من عليه سقاية الشتلة ورعايتها.

2.4.5 تهجير النوبيين:

رغم أن السودان شهد العديد من عمليات إعادة التوطين ما قبل تهجير النوبة مثل معالجة العشوائيات في منطقة المقرن ومنطقة الخرطوم 3 وترحيل ساكني تلك العشوائيات إلى منطقة الديوم في العام 1949م ومنطقة عشش فلاتة في العام 1954م إلا أن تلك التجارب تظل تجارب محدودة من حيث أعداد المُعاد توطينهم حيث لم تتجاوز الأعداد 6000 أسرة (ريماز الشفيع، 2017)، كما أن إعادة التوطين في تلك الحالات تمت في مناطق قريبة جغرافياً داخل نفس المدينة (مدينة الخرطوم)، والتعويضات تمت للمنازل مع خدماتها فقط بعكس تجربة تهجير النوبيين إثر قيام السد العالي الذي تجاوزت فيه أعداد المهجرين 50000 نوبي كما شكلت فيه الأراضي الزراعية والمشروع الزراعي عنصر أساسي في المفاضلة بين المواقع المختارة لإعادة التوطين وخصصت له ميزانية معتبرة، كما أن إعادة توطين النوبيين تمت في منطقة بعيدة جغرافياً عن موطنهم الأصلي (تم نقلهم من شمال السودان لشرقه) ومختلفة عنه مناخياً مع الاختلاف الكبير في ثقافة المجتمع المجاور بمنطقة إعادة التوطين (الجيران الجدد) عن ثقافة المجتمعات الموجودة في الشمال.

وقد تم تهجير النوبيين أربعة مرات من موطنهم خلال العصر الحديث، كانت أولاها مع بناء خزان أسوان عام 1902م الذي ارتفع معه منسوب المياه حوالي 20 متر غُمرت على إثرها المياه المناطق الزراعية في العديد من القرى النوبية بمياه النهر (90 كلم جنوب الخزان) لكنها لم تغمر المساكن التي تقام على الأجزاء المرتفعة من جانبي الوادي، وفي العام 1912م غمرت المياه المناطق السكنية إثر تعلية خزان أسوان إذ ارتفع منسوب المياه ليبلغ 27.5 متر وامتد تأثير المياة ل240 كلم جنوب الخزان، وقد اضطر العديد من النوبيون إلى الهجرة لمناطق أكثر ارتفاعاًعلى حافة الصحراء، ومع التعلية الثانية لخزان أسوان ارتفع منسوب المياه ليبلغ 35 متر وامتد تأثير المياة حتى منطقة وادي حلفا بالسودان (دينا علاء، 2013).

أما الهجرة الرابعة للنوبيين والتي صنفها تقرير المنظمة الافريقية الآسيوية للإسكان (1967) على أنها أكبر مشروع تهجير لتجمعات سكنية في العالم؛ فقد تأثر بها 120 ألف نوبي في مصر والسودان إثر قيام السد العالي في مصر.

وفي السودان وحده ابتلعت مياه بحيرة السد العالي 27 قرية نوبية بالإضافة لمدينة وادي حالفا وفقد حوالي 50 ألف نوبي سوداني منازلهم وكل أراضيهم (دفع الله، 2003).

وقد أُجريت العديد من الدراسات قبل التهجير ابتداء من الإحصاء الدقيق لتعداد السكان ومواشيهم وأشجارهم وأراضيهم الزراعية وأمتعتهم بل وحتى إحصاء الماكينات الزراعية ومضخات المياه والمخزونات التجارية في الأسواق وذلك لتحديد التصميمات في الموطن الجديد وتقدير التعويضات وكيفية النقل.

كما أجريت مسوحات ودراسات اقتصادية واجتماعية من أجل التخطيط للوطن الجديد بالإضافة للدراسات النفسية لمعرفة مدى ارتباط السكان بموطنهم، كما تم تكوين لجان من قبل الأهالي لدراسة خيارات موقع الموطن البديل ومراجعة التصاميم المعمارية للمساكن والقرى إلا أن العديد من تلك الدراسات لم يُؤخذ بها مثل الدراسات النفسية ورأي اللجان الأهلية بخصوص موقع إعادة التوطين الذي فُرض عليهم من قبل الحكومة خلافاً لما كان مُتفق عليه.

2.4.6 تصميم القرى النوبية:

تمتد القرى النوبية في النوبة القديمة على ضفاف النيل وتخلو تلك القرى من الطرقات الهندسية المنتظمة والمساكن فيها إما عبارة عن وحدات مستقلة ومنفردة دون جيران في المناطق الضيقة أو متجمعة بحيث تُكون كل 4 مساكن أو مسكنين كتلة بنائية واحدة في المساحات المنبسطة وتنتشر تلك المساكن بما يتلائم مع تدرج خطوط الكنتور في المنطقة في توافق تام مع طبيعة الأرض، مما يعيد لأذهاننا الإحتمال الثاني الذي طرحة رابوبورت لطبيعة تعامل الإنسان مع بيئته والذي سبق ذكره في الفصل الثالث من الباب الثاني لهذه الدراسة كما أن اعتمادهم على الطين كمادة بناء أساسية أيضاً يُجسد ذلك الانسجام.

توزيع استخدمات الأرض متشابه في قرى النوبة إذ تتوزع المساحات المخصصة للاستخدام الزراعي بمحاذات النيل مباشرة حيث الأرض الخصبة تليها المساحات ذات الاستخدام السكني تتخللها الخدمات أهمها المضيفة الخاصة بالقرية، وتتوزع المساكن في شكل مجموعات حيث تشكل كل مجموعة ما يسمى بالحلة، وقاطنوا الحلة الواحدة هم الأكثر قرابة بين سكان القرية وغالباً ما يكونون أبناء عمومة، وتمتد تلك القرى وتتوسع طولياً لوعورة الأرض حيث تضيق المساحة المنبسطة في بعضها بحيث يكون في القرية شارع واحد فقط يمتد طولياً من شمالها إلى جنوبها بمحاذاة النيل، بينما بعض القرى تمتد على مساحة منبسطة نسبياً.

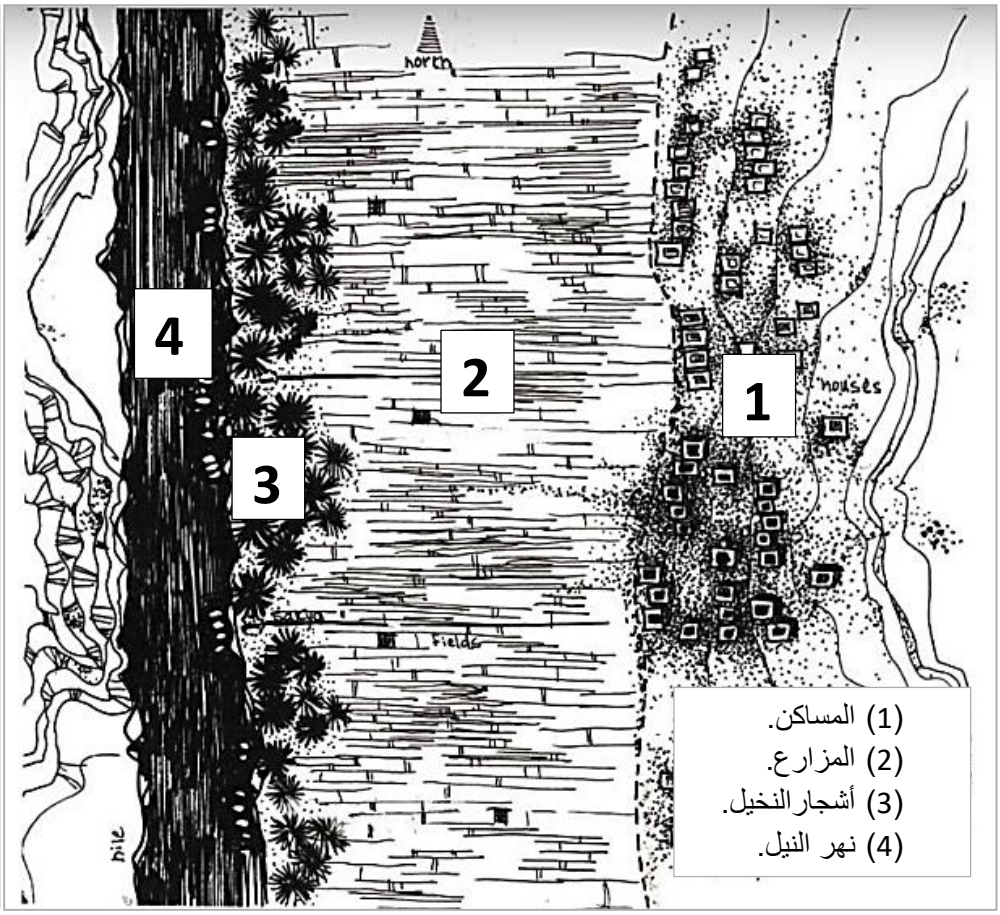

(1) المساكن.
(2) المزارع.
(3) أشجار النخيل.
(4) نهر النيل.

شكل رقم (2.4.3): خارطة توضح استخدامات الأرض في القرية النوبية، المصدر: (محجوب، 1990)

صورة رقم (2.4.1): توضح التوزيع المتدرج للمساكن تماشياً مع انحدار الأرض في إحدى القرى غرب أسوان، تصوير: طارق والي. المصدر: (دينا علاء، 2013)

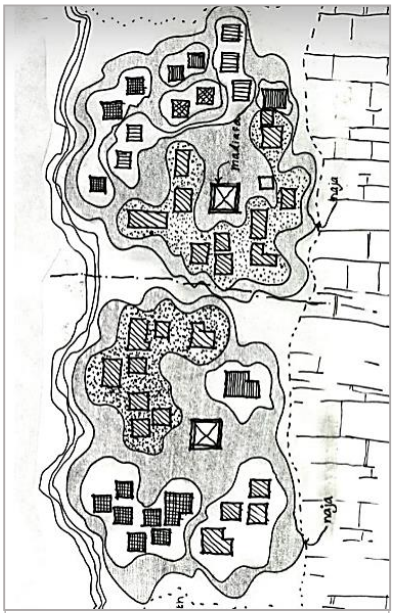

شكل رقم (2.4.4): خارطة توضح توزيع المساكن ضمن حلال مع توسط المضيفة للمساكن، المصدر: (محجوب، 1990)

ولا يمكن الحديث عن القرى النوبية دون ذكر الارتباط الوثيق بين النوبيين وبين نهر النيل والنخيل فقد ارتبطت تلك العناصر بثقافة النوبي وكونت أسلوب حياته المميز.

فأشجار النخيل الممتدة على ضفاف النهر تمثل مصدر فخر للنوبي الذي دائماً ما يردد الأحاديث النبوية التي تحث على رعاية النخلة وتذكر فضلها مثل قوله عليه الصلاة والسلام في الصحيحين:(إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنها مثل المسلم..) والقصد من الحديث النخلة، كما ان أشجار النخيل تمثل عماد إقتصاد النوبي إذ لا تحتاج لكثير عناية كبقية المحاصيل، ولا يخلو منزل النوبي من وجود البراميل الطينية الخاصة بتخزين محصول التمر أو غيره من الغلال، كما تستخدم سيقان النخيل كدعامات عند تشييد المنازل وجريد النخل يستخدم لسقفها، كما يدخل في الصناعات اليدوية كالأطباق والبروش وتصنع منه الأثاثات كالسرائر والكراسي بالإضافة لارتباط جريد النخل بطقوس الزواج والوفاة.

صورة رقم (2.4.2): تظهر استخدام النخل لصنع الأثاثات.

المصدر: (بيل، 2009)

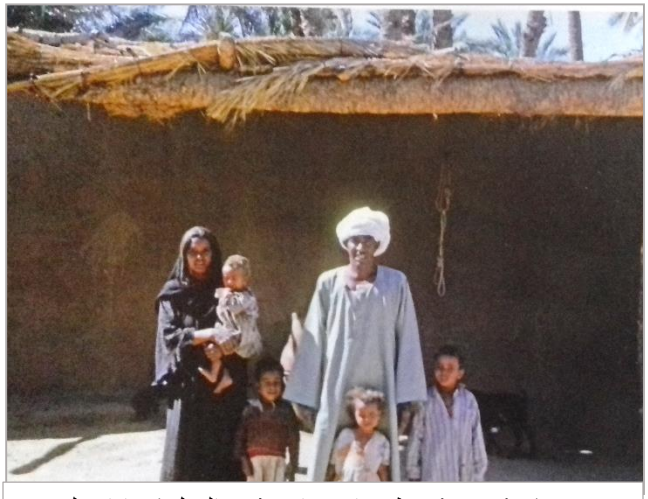

صورة رقم (2.4.3): تظهر استخدام جذوع النخل كمدادات لبرندة إحدى الدور ، واستخدام جريد النخل لسقف ذات الفراغ.

المصدر: (بيل، 2009)

أما النيل فهو شريان الحياة بالنسبة للنوبي وانعكس تعلق النوبيين بالنهر على عمرانهم من خلال توجيه المدخل الرئيسي للمنزل باتجاه النيل باعتباره مصدراً للخير، كما أن مياه النهر جزء لا يتجزأ من طقوس الزواج والختان والولادة والوفاة، ولا أدل على عمق ارتباط النوبي بالنيل من الدراسة التي أجراها د. محمد خير عثمان في مايو 1960 ضمن الدراسات النفسية للسكان قبيل التهجير لمعرفة نوع الروابط التي تربط السكان بمنطقتهم هل هي عملية بحتة أم عاطفية بحتة؟ هل هي محلية أم وطنية عامة؟ أم هي مزيج مما سبق؟

والإختبار النفسي الذي صُمم لقياس ذلك كان عبارة عن خمس كلمات يضعها المختبر في ترتيب تفاضلي حسب أهميتها بالنسبة له وتلك الكلمات هي: السودان، الصحراء، حلفا، النيل، الفلوس.

وكانت نتائجها وفقاً للجدول التالي:

جدول رقم (2.4.1): يوضح نتائج استبيان صُمم لتحديد الروابط التي تربط سكان منطقة وادي حلفا قبل التهجير بمنطقتهم. المصدر: دار الوثائق القومية (تقرير عن الدراسة النفسية الإجتماعية التي قام بها مندوب وزارة المعارف في منطقة حلفا قبل التهجير).

	الفئة العمرية				**الجنس**		**مستوى التعليم**					
	تحت ال20	20- 39	40- 59	60 فما فوق	ذكر	أنثى	أمي	خلوة	أولي	متوسط	ثانوي	جامعي
النيل أولاً	%34	%57	%67	%84	%59	%59	%77	%76	%56	%55	%34	%27
حلفا أولاً	%25	%16	%17	%15	%13	%18	%16	%16	%14	%16	%34	%18
السودان أولاً	%21	%27	%6	%0	%20	%0	%2	%0	%22	%40	%20	%36
الفلوس أولاً	%0	%10	%10	%3	%5	%11	%10	%7	%4	%2	%7	%18
الصحراء أولاً	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–

ومن الجدول أعلاه يتضح أن كل المختبرين –فيما عدا الجامعيين– أعطوا الأولوية للنيل قبل بقية الخيارات، مع تساوى الارتباط بالنيل لدى الجنسين، كما يقل الارتباط بالنيل كلما ارتفع مستوى التعليم وكلما قل العمر.

وقد جاء في توصيات تلك الدراسة "**ان اختيار المكان المقبل لأهالي حلفا بالاعتبارات المادية فقط على أهميتها وحيويتها لن يكون فيه كل الحل لمشكلتهم إذ لا بد أن توضع في الحسبان العلاقة التي تربطهم بمظهر طبيعي عظيم كالنيل الذي يمثل ماضيهم وحاضرهم وجماع ثقافتهم**" وعليه فقد رأى د. محمد خير عثمان أن الحل لمشكلة أهالي حلفا يكون عبر إيجاد مكان لهم قرب النيل حتى يستأنفوا حياتهم على ضفافه في وطنهم الجديد كما كانوا يحيَونها منذ مئات السنين، لكن مع الأسف لم يُؤخذ بتوصيات تلك الدراسة وفارق النوبيون ضفاف النيل اللتي أَلِفوها.

2.4.7 المنزل النوبي:

يُطلق على المنزل بالنوبية (نوق) وتعني المساحة التي يسيطر عليها الشخص فالمنزل بالنسبة للنوبي مملكته الخاصة (محجوب، 1990)، مادة البناء الأساسية في النوبة هي الجالوص المكون من طبقات من الكتل الطينية المخلوطة بالحجارة الصغيرة والروث ويغطى الجدار بطبقة ملساء من الطين، يبلغ سمك الجدار حوالي 18 بوصة مما يساعد في العزل الحراري للغرف وفي مناطق مثل بطن الحجر تستخدم الأحجار في البناء بكثرة كما يُوجد في المناطق النوبية عدد قليل من مساكن القش و المساكن المشيدة بالطوب الأخضر (وينزل، 2007).

2.4.7.1 مكونات المنزل النوبي:

أ. **البوابة:** وهي المدخل الرئيسي في المنزل النوبي وتُشيد وسط الواجهة الرئيسية للمنزل والتي غالبا ما تكون مواجهة للنيل، يتراوح عرض البوابة بين 1.2 – 2.4 متر ونجد على جانبي البوابة في الغالب النوافذ الكبيرة للديواني وهو الفراغ الوحيد في البيت النوبي الذي يطل على الخارج .

ومما يدلل على أهمية البوابة بالنسبة للمجتمع النوبي أننا نجدهم يحتفلون خلال تشييد المنزل بذبح الذبائح في مرحلتين فقط ؛ عند عمل الأساس للمنزل ككل أولاً، والإحتفال الثاني يتم عند تشييد عتب البوابة، فاكتمال البوابة عند النوبي دلالة على بداية تكوين أسرة جديدة.

يولي النوبيون اهتماماً كبيراً للبوابة وزخرفتها، إذ تزين بالنقوش وأطباق الصيني التي يجلبها المهاجرون من المدن وتزداد أعداد الأطباق بزيادة ثراء الأسرة، ويُعتقد أن تلك الزخارف والرسوم التي تزين البوابة تحمي أفراد المنزل من عين الحسّاد (محجوب، 1990).

ب. **المندرة:** استقبال الضيوف هو جزء أساسي من الحياة اليومية في النوبة، والمندرة هي المكان المخصص لاستقبال الضيوف في المنزل النوبي، توجد المندرة في أحد جوانب الدهليز أو في الجانبين معاً وهي كما سبق وذكرنا الفراغ الوحيد في البيت النوبي الذي يحوي نوافذ كبيرة مطلة على الخارج تُغلق تلك النوافذ شتاء وتفتح صيفا، تتكون أثاثات المندرة من اسِّرة تقليدية تستخدم للجلوس والنوم وكراسي مصنوعة من جريد النخل وتحوي جدران المندرة على بعض الزخارف والأطباق (محجوب، 1990).

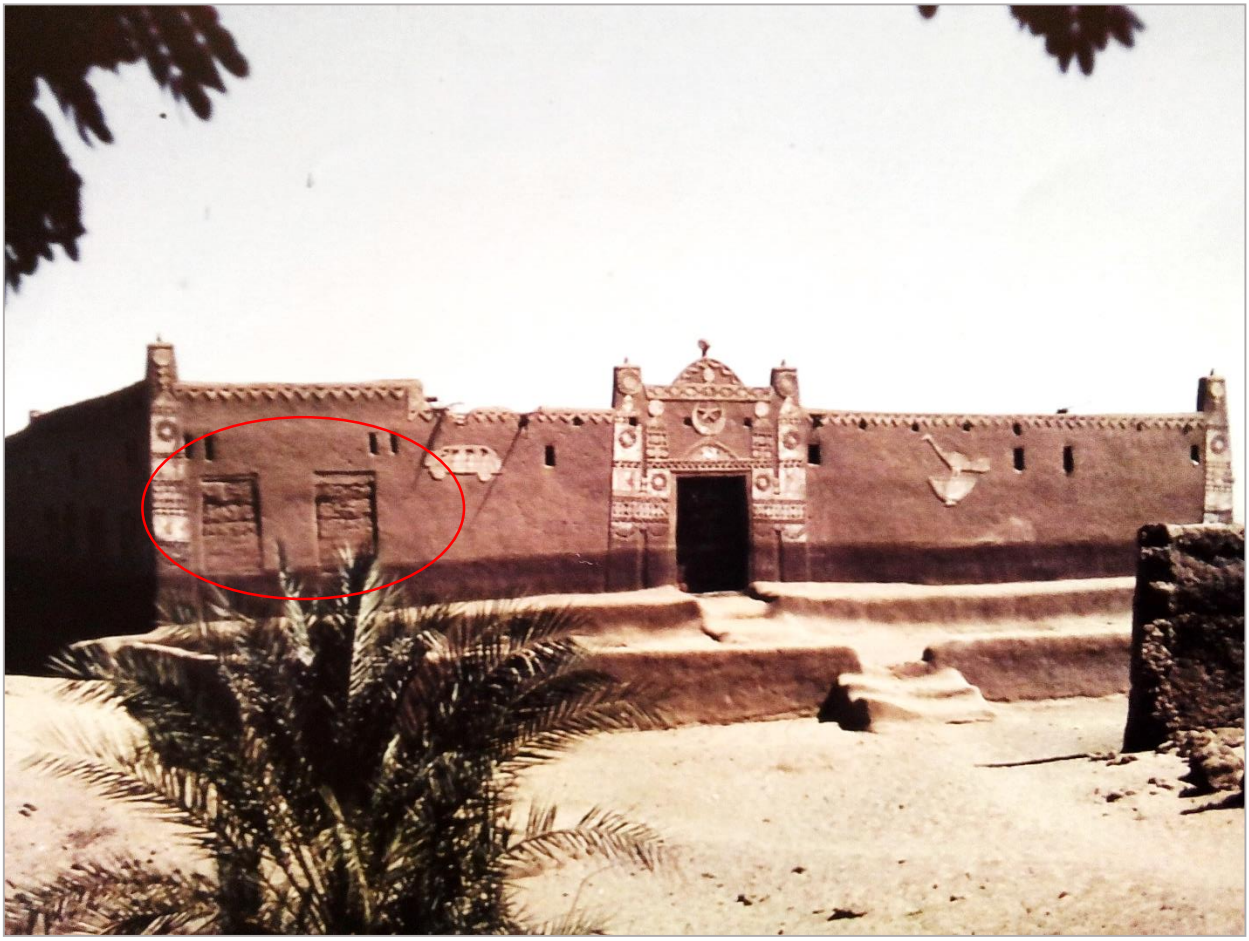

الصورة رقم (2.4.4): توضح نموذج لبوابة نوبية وعلى يسارها نوافذ المندرة المطلة على الشارع في أحد منازل جنوبي وادي حلفا، تُسد تلك النوافذ شتاء على أن يُعاد فتحها في فصل الصيف. المصدر: (بيل، 2009)

ت. **المسطبة:** هي عبارة عن مباني طينية تمتد على طول الواجهة الرئيسية للمبنى بارتفاع حوالي متر واحد أو أقل بقليل من مستوى الأرض، ومن الشائع في بلاد النوبة أن تجد مجموعات من الناس نساء او رجال تجلس على مساطب الدور وتتبادل أطراف الحديث، وأحياناً تترافق تلك الجلسات مع شرب الشاي بالحليب أو صناعة الأطباق والبروش ومراقبة الأطفال.

الصورة رقم (2.4.5) على اليمين، والصورة رقم (2.4.6) على اليسار توضحان الدور الإجتماعي للمساطب الطينية أمام الدور، المصدر: (بيل، 2009)

ث. **الدهليز:** هو عبارة عن صالة صغيرة تلي البوابة الرئيسية مباشرة وهو فراغ شبه خاص يفصل بين الفراغات الخاصة داخل المنزل والفراغات العامة في الخارج ويعمل كموزع يمكن الدخول عبره إلى المندرة (غرفة الضيوف) أو إلى فناء الدار، ولا يخلو الدهليز من وجود مزيرة.

ج. **الفناء:** يوجد عادة في المنزل النوبي فنائين أحدهما صغير يتبع لمنطقة الضيافة والآخر خاص بأفراد المنزل والأخير هو الفناء الرئيسي يقع وسط المسكن ويكون محاطاً بالغرف وهو الأكثر اتساعاً، وتمارس فيه العديد من الأنشطة خاصة من قبل النساء مثل غسل الملابس ونشرها، النوم ليلاً في أيام الصيف، كما يمثل الفناء ساحة للعب الأطفال..إلخ.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الساحة لم تكن موجودة في المنزل النوبي القديم وإنما ظهرت الأفنية في منازل النوبيين شمالاً في القرن التاسع عشر متأثرة بالثقافة الإسلامية وفقاً لما جاء في كتاب الزخارف النوبية لماريان وينزل.

د. **الديواني:** هو حيز مهم في مساكن النوبيين شمال الشلال الثاني بينما لا نجده في المساكن جنوب الشلال، وهو عبارة عن صالة طولية ممتدة محاطة بثلاث جدران بينما يبقى الاتجاه الرابع مفتوح تماماً وبها مزيرة، غالباً ما يكون الديواني شرق المنزل ويفتح شمالاً ليطل على ساحة صغيرة في مقابلها غرفة تسمى الديواني حاصل مع فناء صغير ومرحاض، كما أن له مدخلاً منفصلاً من الشارع مع مدخل آخر يربطه ببقية أجزاء المنزل، فمنطقة الديواني بملحقاته يعتبر منزلاً داخل المنزل.

للديواني ارتباط وثيق بعادات الزواج عند النوبيين فهو في الأساس المكان المخصص لإقامة مناسبات الزواج؛ حيث تُقيم العروس في غرفة (الديواني هاسيل) استعداداً للعرس وتُمنع من الخروج وتستقبل ضيفاتها في ذات الغرفة، بينما تُقام احتفالات الزواج في الديواني وهو أكثر فراغات المنزل النوبي زخرفة حيث تتزاحم على جدرانه الثلاث الرسوم والأطباق والبروش المعلقة.

وبعد انتهاء مراسم الزواج على الزوجين أن يقيما في الديواني دون ان يخرجا إلى أي مكان فيما عدا النهر لمدة سبعة أيام، ويواصلا الإقامة فيه لمدة 40 يوم يستقبلان خلالها ضيوفهما في الديواني ويستخدمان (الديواني هاسيل) كغرفة نوم خاصة قبل الانتقال إلى منزلهما الخاص، تتعلم في هذه الفترة العروس من والدتها كيفية تدبير المنزل، وقد تمتد تلك الإقامة لمدة عام أو عامين باختلاف الوضع الاقتصادي للزوج، ورغم وجود المندرة إلا أنه قد يُستخدم الديواني أحياناً كمضيفة في حال كان الضيف شديد الأهمية كالقادمين من سفر بعيد وفي حال لم تكن هناك مناسبات زواج (محجوب، 1990).

صورة رقم (2.4.7): تظهر جزء من الديواني بأحد منازل منطقة وادي حلفا مع وجود مزيرة على يمين الصورة كما يظهر في الصورة الفناء الشمالي المشمس وغرفة العروس المقابلة للفناء والمدخل الجانبي للمنزل، المصدر: (بيل، 2009)- تعديل : الباحثة

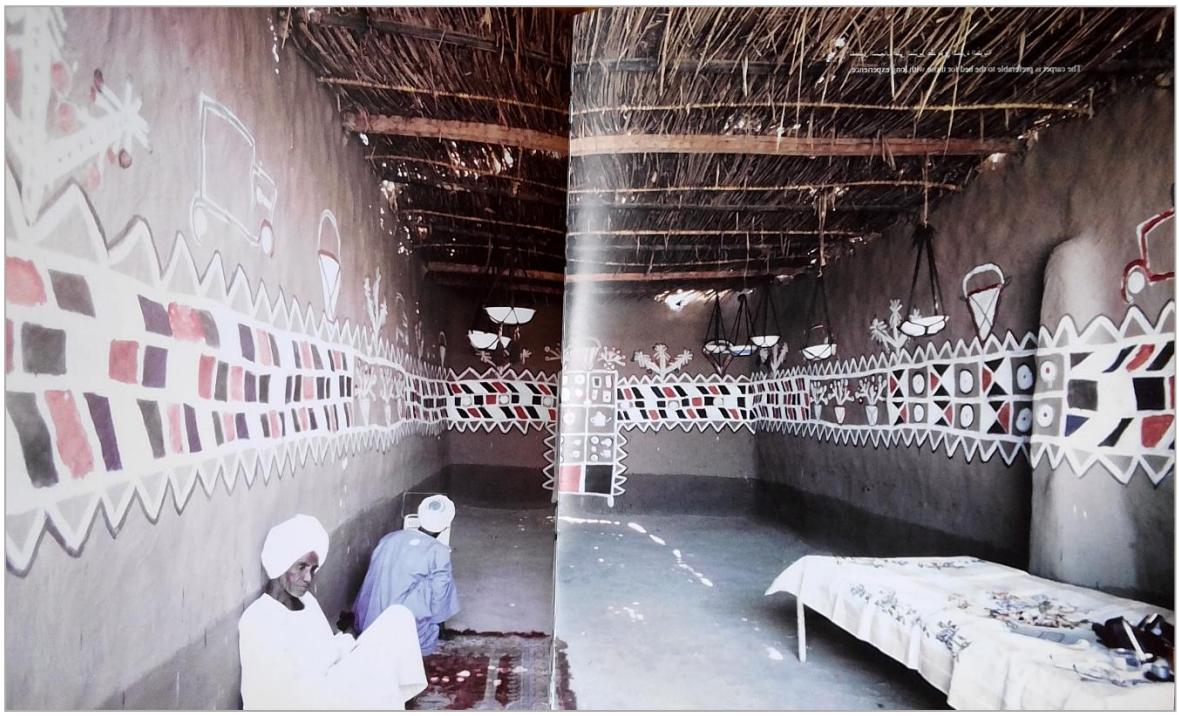

الصورة رقم (2.4.8): منظور داخلي لنفس الديواني في الصورة السابقة، وتُظهر هذة الصورة الزخارف على الجدران الثلاثة للديواني استعداداً للعرس، المصدر: (بيل، 2009)

2.4.7.2 تصميم المسكن النوبي وعوامل رابوبورت الخمسة:

ويمكن تتبع تأثير عوامل رابوبورت الخمسة على مستوى تصميم البيئة العمرانية للقرية النوبية وتصميم منازلها نظرياً وفقاً للنقاط التالية:

- **الإحتياجات الأساسية:**

إذا تناولنا الحاجة للراحة الحرارية كأحد الإحتياجات الأساسية فإن تصميم المنزل النوبي يتيح أكبر قدر من الراحة الحرارية لمستخدميه من خلال:

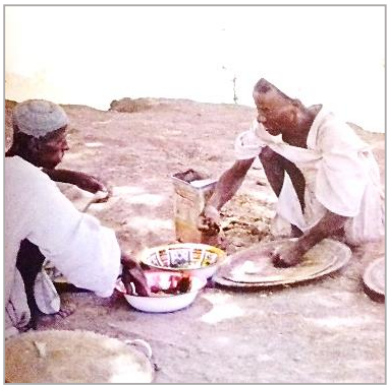

صورة رقم (2.4.9): تظهر تناول رجال نوبيين لوجبتهم وهم جلوس على الأرض. المصدر: (بيل،2009)

- حوائطه الطينية السميكة التي تشكل عازلا حرارياً.
- النوافذ العلوية الصغيرة والفناء الداخلي.
- توزيع الفراغات داخل المسكن بحيث تكون الفراغات في الشمال قليلة الاستخدام كالمخازن وحظائر الماشية والمطبخ والديواني بينما في الجنوب والغرب حيث الدفء تبنى غرف النوم.

أما ما يخص عادات تناول الطعام فإن الأسر النوبية تأكل في العادة مجتمعة بالبرندة بينما يُحمل الطعام إلى المزارع للعاملين في الحقول، أما في حال وجود ضيوف رجال فيقدم الطعام للرجال في المندرة.

وعلى مستوى القرية فإنه في حال وجود عابري سبيل فإن الطعام يُحمل إلى بيت الضيافة وسط (الحلة) ويتناول النوبيون طعامهم غالباً وهم جلوس على البروش المبسوطة أرضاً.

- **تكوين الأسرة:**

يختلف تكوين الأسر النوبية ما بين الأسر النووية التي تتكون من الزوج والزوجة والابناء وما بين الأسر الممتدة التي شاعت بسبب هجرة القادرين على العمل من الرجال مما نتج عنه تولي الجد أو أحد الأعمام مسؤولية رعاية أسر اولئك الغائبين.

وقد سهل تواجد منازل أبناء العمومة جوار بعضها البعض (حلة) مهمة رعاية تلك الأسر، ووفّر مزيداً من الترابط الإجتماعي والتكافل.

- **وضع النساء:**

للنساء النوبيات وضع مميز داخل مجتمعاتهن، فهجرة عدد كبير من الرجال القادرين على العمل جعل مهام النساء تتعدى حدود المنزل، فالمراة النوبية تشارك في الزراعة والرعي وزخرفة المنزل بجانب واجباتها المنزلية ورعايتها للأطفال وصناعتها للبروش والأطباق وجلب الماء من النهر.

برغم أن الفصل بين النساء والرجال في المجتمع النوبي لا يتسم بالصرامة كبقية المجتمعات العربية التقليدية إلا أن تصميم المنزل النوبي وفّر قدر من الخصوصية للمرأة (محجوب، 1990)، ويظهر ذلك من خلال فصل منطقة استقبال الضيوف الرجال (المندرة) عن بقية أجزاء المنزل، وعزل النساء يظهر بصورة أكثر وضوحاً في تصميمات المساكن بالمناطق جنوب الشلال الثاني أكثر من منطقة وادي حلفا وسبق أن استعرضنا ذلك خلال شرحنا للاختلافات بين تصميم المساكن في المنطقة جنوب الشلال الثاني ومساكن منطقة وادي حلفا.

صورة رقم (2.4.11): تظهر النساء يعملن بجانب الرجال في حراثة الحقول. المصدر: (دفع الله، 2003)

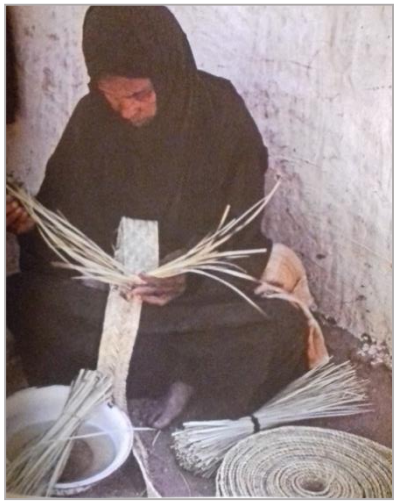

صورة رقم (2.4.10): تظهر عمل المرأة النوبية في صناعة البروش. المصدر: (بيل، 2009)

- **الخصوصية:**

تتسم بلاد النوبة بأنها منطقة منعزلة تحيط بها الحواجز الطبيعية، وربما كان لذلك أثر في جعل المجتمع النوبي يميل لتوفير الخصوصية لأفراده، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال المنازل التي تُشيد بصورة منفردة دون وجود جيران ملاصقين لها، كما يظهر من خلال واجهات المنازل الخالية من الفتحات فيما عدا

نوافذ المندرة المخصصة للضيوف، ويجادل البعض أن تصميم المسكن النوبي بغرفه المحيطة بفناء وسطي فيما يشبه تصميم القلاع إنما نشأ كتعبير عن انغلاق المجتمع النوبي على نفسه ورفضه الذوبان في الآخر.

- **التواصل الإجتماعي:**

يولي النوبيون أهمية كبيرة للضيوف، فعلى مستوى الحي يلتقي الرجال بضيوفهم في بيت الضيافة (مضيفة) والذي غالباً ما يتم تشييده وسط الحلة، بينما تُستغل المسطبة المُقامة أمام واجهات المنازل (توقور) من قبل الرجال وكذلك النساء للقاء وتبادل الحديث في الهواء الطلق، كما يشكل جلب الفتيات المياه من النهر ورعيهن للماعز سوياً فرصة لتبادل أطراف الحديث فيما بينهن، أما داخل المنازل فيستقبل الرجال ضيوفهم في المندرة طوال العام أو الديواني خلال المناسبات كما في منطقة وادي حلفا بينما تلتقي النساء بضيفاتهن في البرندة.

وفي المناطق جنوب وادي حلفا يمثل مطبخ الشاي مكاناً مهماً يجمع أفراد العائلة شتاء حيث تجتمع الأسر حول الموقد طلباً للدفء.

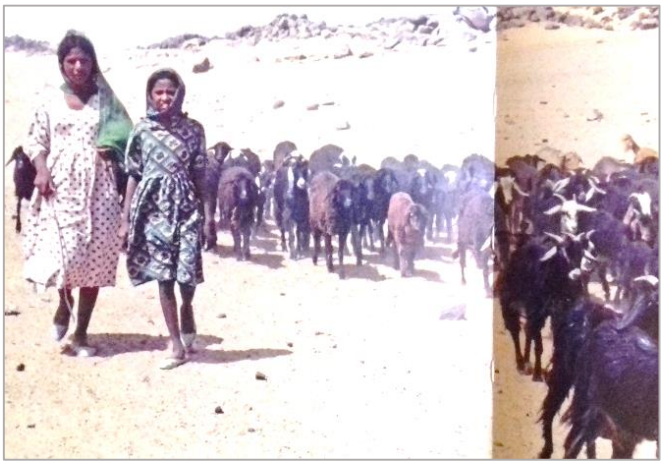

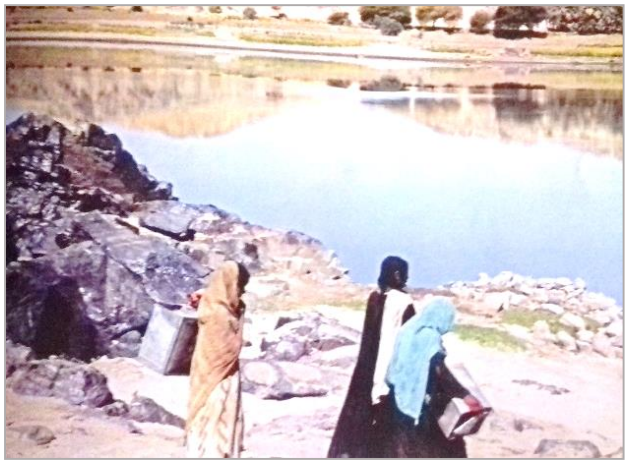

الصورة رقم (2.4.12) على اليمين: تظهر فتاتان ترعيان الماعز، والصورة رقم (2.4.13) على اليسار: توضح جلب الفتيات للماء من النهر، المصدر: (بيل، 2009)

2.4.7.3 أهم الإختلافات في العوامل الثقافية الخمسة لرابوبورت والتي انعكست على تصميم المساكن في النوبة السودانية شمال الشلال الثاني وجنوبه:

جدول رقم (2.4.2) يوضح أهم الفروقات بين مساكن النوبة شمال الشلال الثانى وجنوبه. المصدر: إعداد الباحثة.

وجه المقارنة	شمال الشلال الثاني	جنوب الشلال الثاني
وضع المرأة	- لا حرج في كون غرفة إقامة العروس (الديواني هاسيل) تُواجه الديواني حيث يتم استقبال ضيوف العرس. - دخول الضيوف إلى المندرة يتم عبر الدهليز مما قد يسمح للضيوف بالقاء نظرة إلى فناء الدار ورؤية نساء المنزل.	- يعد وجود غرفة العروس مقابل المكان المخصص لاستقبال الضيوف أمراً غير محتملاً عند ساكني جنوب الشلال الثاني، وتجلس العروس في غرفة داخلية منعزلة. - دخول الضيوف إلى المندره يتم عبر مدخل منفصل يفضي إلى فناء صغير يتبع للمندرة ومفصول عن فناء الدار بسور به باب جانبي يربط بينهما، وبالتالي يستحيل على الضيوف رؤية نساء المنزل.
التواصل الإجتماعي	- ضيوف العرس والقادمين من سفر بعيد لهم جناح استقبال خاص وهو (الديواني)، بالإضافة لغرفة الضيوف المعتاده (المندرة).	- الضيافة تتم في المندرة فقط ولا خصوصية لضيوف العرس.
الاحتياجات الأساسية	- يوجد مطبخ واحد في المنزل النوبي شمال الشلال الثاني لإعداد الطعام والشاي، ويتم تناول الطعام في البرندة أو المندرة عند وجود الضيوف او في الفناء مساء.	- تحتوي العديد من المنازل على مطبخين أحدهما لطهي الطعام والآخر عبارة عن غرفة بها موقد للشاي ويستخدم الموقد للتدفئة شتاء، وتجتمع الأسرة في تلك الغرفة لشرب الشاي والحصول على الدفء.
الخصوصية	يراعي البيت النوبي توفير قدر من الخصوصية لقاطنيه ويراعي التدرج بين ما هو خاص وشبه خاص وعام.	يراعي البيت النوبي توفير قدر من الخصوصية لقاطنيه ويراعي التدرج بين ما هو خاص وشبه خاص وعام.
تكوين الأسرة	- وجود الديواني بملحقاته يدعم تكوين الأسر الممتدة إذ يعتبر منزلاً داخل المنزل مع وجود مطبخ مشترك.	في حال تعسر ظروف العريس فإنه يتم تخصيص غرفة من منزل العائلة له ولعروسه، وهو وضع لا يوفر الخصوصية للاسرة الجديدة كما في حالة الديواني.

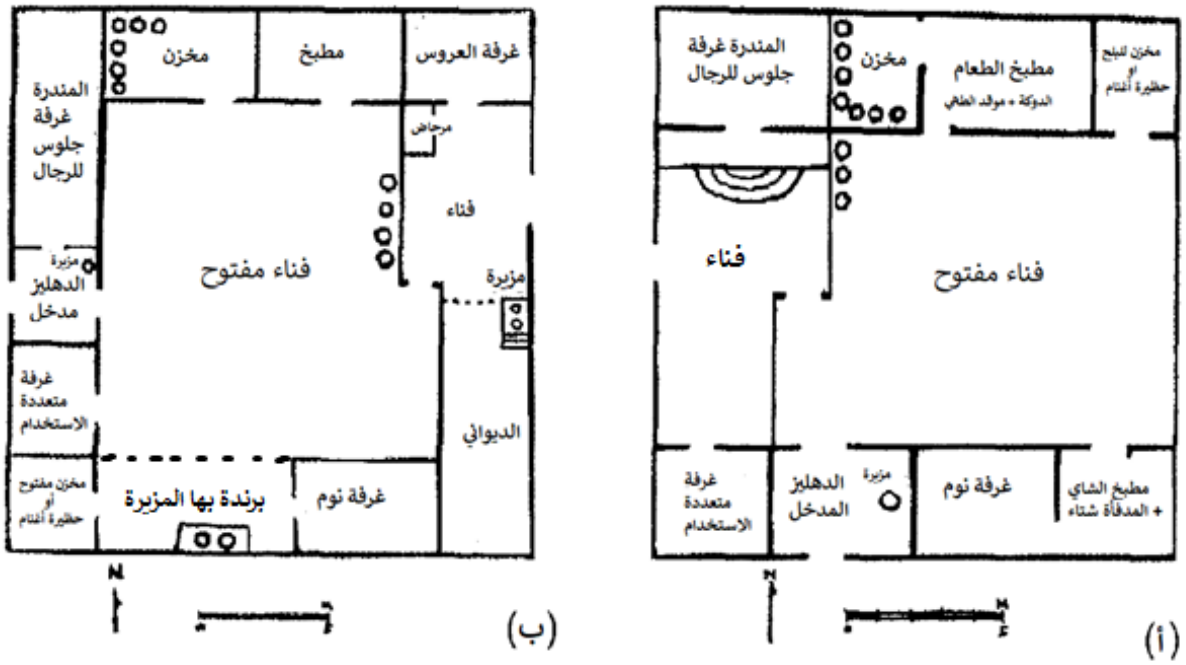

شكل رقم (2.4.5): مسقطان يوضحان الفرق بين تصميم المساكن في المنطقة النوبية السودانية بين منطقة وادي حلفا والمناطق النوبية جنوبها؛ المسقط (أ) يوضح تصميم المساكن في المنطقة جنوب وادي حلفا، بينما المسقط (ب) يوضح تصميم المساكن بمنطقة وادي حلفا.

المصدر: (وينزل،2007) ترجمة: الباحثة

وربما يجب أن نشير إلى أن انقطاع خط سكك حديد سرس وتحوله إلى مسار مهجور أثّر على تشييد المنازل في النوبة؛ حيث تلقّى السكان قضبان السكك الحديدية بسعاده واستخدموها كأعمدة للسقف بديلاً للدعامات الخشبية التي كانت عرضة للنمل الأبيض، كما انها أكثر استقامة وطولاً؛ مما زاد من ارتفاع الغرف ومساحتها، وهو ما يمكن أن نطلق عليه تغير في عنصر ثقافي مادي (العمارة) ناتج عن الاكتشاف (وينزل، 2007).

2.4.8 الدراسات المشابهة:

- 2.4.7.1 SPACE, COLOR AND QUALITY OF LIFE IN A NUBIAN ENVIRONMENT. By: Diana Kamel and Aleya Abdel-Hadi (2012)

ألوان الفراغات وطبيعة الحياة في البيئة النوبية- إعداد: دينا كامل و عالية عبد الهادي

مستخلص الدراسة:

هي دراسة قصيرة تناولت قضية استمرارية أنماط الحياة القديمة في النوبة الجديدة بمصر، وتهدف لطلب دليل على وجود تلك الاستمرارية كما تهدف لشرح انعكاس القيم الاقتصادية والاجتماعية السابقة على المباني السكنية في النوبة الجديدة.

ارتكزت الدراسة في منهجيتها على الدراسات التي أجريت قبل التهجير وبعده مباشرة وكذلك على العمل الميداني الذي استند على عينة عشوائية أُختيرت من واحدة من القرى الثلاث والثلاثين في كوم أمبو وهي قرية عنيبة كما ركزت الدراسة في تحليلها للمعلومات على الانتماء القبلي للسكان، وقد رصدت الباحثتان من خلال عملهما الميداني التغيرات التي حدثت للفراغات الداخلية والخارجية من حيث أنماط الزخرفة وألوان الحوائط وحياة السكان، واستُخدمت المقابلات شبه المهيكلة والتصوير الفوتوغرافي كأدوات لجمع المعلومات.

الاستنتاجات التي توصلت إليها الدراسة:

أن العديد من التعديلات أجريت على تصاميم المنازل والبيئة العمرانية سعياً لتلبية احتياجات ثقافية للمجتمع المُهجر مثل:

- توسعة المنازل بعمل سياجات في الشوارع واستخدام تلك المساحات الإضافية لاستقبال الضيوف.
- عمل مساطب خارجية يجتمع فيها الرجال لتبادل الحديث في الهواء الطلق.
- إزالة النوافذ الكبيرة للمنازل والإستعاضة عنها بأخرى صغيرة لتحقيق مزيد من الراحة الحرارية والخصوصية.
- زخرفة الفراغات داخلياً وخارجياً.
- تغيير الألوان داخليا وخارجياً.

توصلت الدراسة من خلال العمل الميداني إلى أن النوبيين المهجرين (40% من الفديجا و 50% من الكنوز) غير راضين عن منازلهم في النوبة الجديدة ولا زالوا يحلمون بالعودة إلى ديارهم جوار النيل رغم التعديلات المتعددة التي أجروها على تصاميم المساكن.

كما أظهرت الدراسة أن 80% من العادات الثقافية الموروثة (مثل عادات الزواج والوفاة والولادة وغيرها) لافراد العينة صار من غير المتاح ممارستها في البيئة العمرانية الجديدة.

كما أن الجيل الثالث من المهجرين اكتسب العديد من العادات الثقافية للجيران الجدد (الصعيديين).

الملائمة مع هذه الدراسة:

تناولت دراسة ديانا وعالية المجتمع النوبي خلال ثلاثة حقب أساسية وهي ما قبل التهجير والفترة بُعيد التهجير والوضع الراهن وهذا ما يتطابق تماماً مع هذه الدراسة.

إلا أن دراسة ديانا وعالية هي دراسة مختصرة ركزت على تتبع ألوان الفراغات والزخرفة والتأثيث دون تناول التغيرات التي حدثت في البيئة العمرانية ككل.

- 2.4.7.2 THE NUBIAN EXPERIENCE: A STUDY OF THE SOCIAL AND CULTURAL MEANINGS OF ARCHITECTURE. By: Yasser Osman Moharam Mahgoub (1990).
  الخبرات النوبية: دراسة عن الدلالات الاجتماعية والثقافية للعمارة. إعداد: ياسر عثمان محجوب

مستخلص الدراسة:

هي دراسة مستفيضة قُدمت لنيل درجة الدكتوراة في العمارة ارتكزت على رؤية العمارة كجزء من خبرات الحياة اليومية للشعوب، ومعبرة عن نظرة تلك الشعوب للحياة، حيث انتهج الباحث خلال دراسته منهج الدراسات الانثروبولوجية بدراسة الأشخاص من خلال ثقافتهم عبر معرفة أسلوب حياتهم ونظرتهم للعالم، ويرى الباحث أنه يجب أن تدرس ثقافات تلك الشعوب في أماكن إقامتها وذلك ما قام به خلال دراسته.

وبالرغم من ان علماء الانثروبولوجي لا يدرسون التصاميم العمرانية أو المعمارية إلا أن الباحث بصفته معماري سعى من خلال بحثه أن يدرس العمران والعمارة النوبية من خلال دراسة ثقافة ذلك المجتمع قبل وبعد التهجير، وتتبع التغيرات الثقافية التي حدثت له كنتيجة لإعاده التوطين.

الملائمة مع هذه الدراسة:

ركزت دراسة محجوب على الربط بين العمارة والثقافة من خلال دراسة المجتمع النوبي المصري قبل وبعد التهجير وذلك ما يتطابق مع هذه الدراسة، إلا أنها لم تستند على نظريه بعينها، ورصدت التغيرات التي حدثت للمجتمع المُهجر بصورة عامة دون ربطها المباشر بالعمارة والعمران، ولم تتناول التغييرات التي أحدثها المهجرون على المنازل والعمران عموماً في الموطن الجديد.

2.4.9 خلاصة القسم الرابع من الدراسة النظرية:

تعرفنا في هذا القسم على موقع بلاد النوبة وأصل النوبيين ولغتهم، كما استعرضنا في هذا القسم السمات العامة للمجتمع النوبي واقتصاد ذلك المجتمع، ثم تحدثنا عن تهجير النوبة إثر قيام السدود خاصة مشروع السد العالي الذي نقل مجتمع برمته من موطن إلى موطن آخر، ثم ذكرنا السمات العامة للقرى النوبية في النوبة القديمة وأهم مكونات المنزل النوبي، أختتم القسم بذكر الدراسات المشابهة التي تناولت العلاقة بين الثقافة النوبية والعمران النوبي.

الفصل الثالث: الحالة الدراسية

3.1 الأساسيات:

3.1.1 أسباب اختيار الحالة الدراسية وعينات المنازل:

تم اختيار العينة الدراسية على ثلاث مراحل **(Cluster Sample)** وفقاً لما يلي:

- في المرحلة الأولى اختار فيها الباحث مجتمع حلفا المُهجّر لدراسة العلاقة المتبادلة بين البيئات العمرانية وثقافة ساكنيها وتم هذا الإختيار عمداً **(sample Purposive)** إذ يرى الباحث أن دراسة مجتمع تعايش وتفاعل مع بيئتين عمرانيتين متباينتين إحداهما شعبية والأخرى مخططة تمثل حالة نموذجية لدراسة طبيعة تلك العلاقة التبادلية، كما أن الفترة الزمنية منذ عملية التهجير وإلى حين الدراسة ليست بالطويلة بحيث نفقد الجيل الذي عاصر الهجرة وليست بالقصيرة بحيث يصعب رصد التغيرات الثقافية.
- المرحلة الثانية تمثلت باختيار القرية 12 من بين جميع المناطق المهجرة، والتي سكنها جزء من أهالي قرية اشكيت ما قبل التهجير وهو أيضاً اختيار عمدي من قبل الباحث **(Purposive sample)** وذلك لأن قرية اشكيت هي القرية الوحيدة التي تمكن الباحث من العثور على خريطة جوية تُظهرها كاملة ما قبل الغرق، كما تمكن الباحث من العثور على صور للعديد من مساكنها قبل التهجير مع توفر احصاءات عامة لسكانها ومبانيها، بالإضافة لأنها تمثل قرية نموذجية من حيث انتمائها للعمران النوبي التقليدي وفقاً لحسن دفع الله مُعتمد التهجير للنوبة السودانيين (2003).
- تم اختيار العينة الدراسية للمساكن من داخل القرية 12 أيضاً بطريقة عمدية وذلك بناء على الفئة العمرية، حيث استهدف الباحث أصحاب المنازل التي عاصر قاطنوها عملية التهجير من قرية اشكيت واستقر بهم المقام في القرية 12 كما حرص الباحث على أن يكون أصحاب المنازل التي تم اختيارها ممن يذكرون تفاصيل المساكن وأسلوب الحياة في النوبة القديمة، وبناء عليه فقد درس الباحث عدد ستة منازل إلا ان أربعة منها فقط انطبقت عليهم الشروط المذكورة سابقاً، ورغم إدراك الباحث لعدم كفاية العدد المذكور بحيث تعمم نتائج دراسته (إذ تمثل نسبة 2.28% من جملة منازل القراية البالغ عددها 175 منزلاً عند التهجير) إلا أنه يمكن الإكتفاء بدراسة تلك المنازل الأربع لتوضيح الفكرة العامة تمهيداً لدراسات مستقبلية أكثر دقة.

3.1.2 تعريف بمنطقتي الدراسة:

3.1.2.1 عمودية اشكيت:

تعتبر عمودية اشكيت واحدة من أكبر القرى التي غمرتها المياه كنتيجة لقيام السد العالي داخل الحدود السودانية، تقع شمال مدينة حلفا على الضفة الشرقية للنيل (انظر الشكل رقم 3.1.2) وتتكون من مشيختين هما إشكيت شمال واشكيت جنوب، وبلغ عدد سكانها المقيمين بها عند التهجير 1860 نسمة 965 منهم يسكنون اشكيت شمال و 895 في اشكيت جنوب، بينما بلغ عدد سكانها الغائبين عنها عند اجراء عملية الإحصاء قبيل التهجير 1201 أي ما يتجاوز نصف عدد المقيمين (دفع الله، 2003).

3.1.2.2 القرية 12:

هي إحدى القرى التي خُصصت كتعويض للمهجرين من قرية اشكيت تقع جنوب شرق مدينة حلفا الجديدة (انظر الشكل 3.1.1) تم تشييدها أول ما شيدت بعدد 175 منزلاً ثم أضيفت لاحقاً مخططات للتوسعة المستقبلية من قبل إدارة التخطيط بحلفا.

شكل رقم (3.1.1): صورة جوية تُظهر موقع القرية 12 من مدينة حلفا الجديدة- المصدر: خرائط قوقل- تعديل: الباحثة

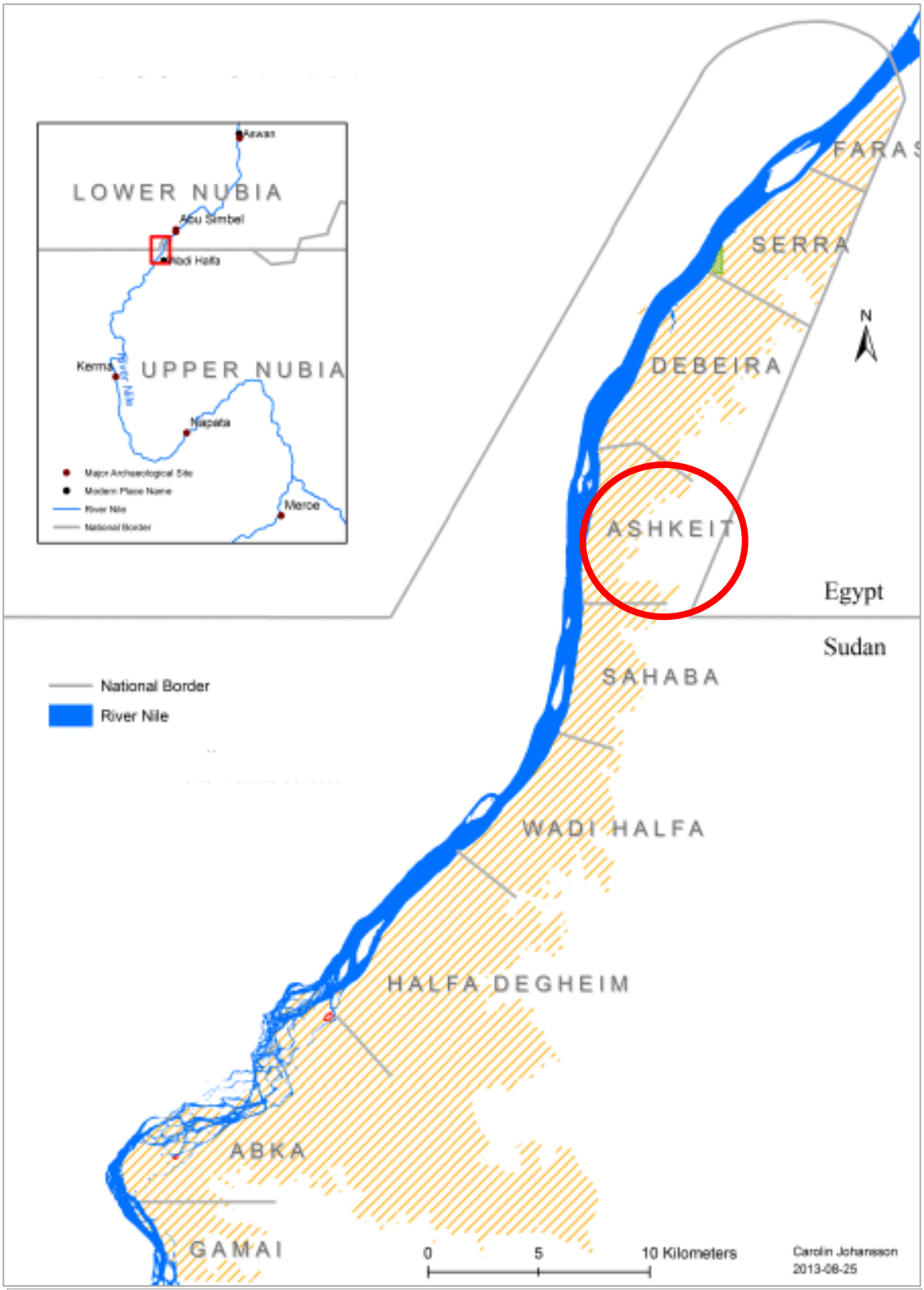

الشكل رقم (3.1.2): خارطة توضح موقع عمودية اشكيت بمنطقة وادي حلفا قبل التهجير.

المصدر: (جوهانسون، 2014)

3.1.3 موجهات أساسية لدراسة الحالة مستقاة من الدراسة النظرية في الفصل السابق:

أهم الموجهات المستخلصة من الفصل الثاني للدراسة:

- تم تعريف البيئة العمرانية لأغراض هذا البحث بأنها الكتل والفضاءات البيئة الحضرية والعلاقات التي تربط بينها والتي يتم تكوينها لإشباع الإحتياجات الانسانية.
- أن قرية اشكيت تمثل ناتجاً بنائياً شعبياً شارك فيه المستخدم بصورة مباشرة في عملية البناء والتي اتسمت بالمرحلية تماشياً مع تغير احتياجات السكان عبر الزمن.
- القرية 12 تمثل ناتجاً بنائيا رسمياً تم تشيده من قبل مصممين متخصصين بصورة نهائية وفقاً لاحتياجات محسوبة مسبقاً دون مشاركة مباشرة للمستخدمين في عملية التشييد.
- تم اعتماد تعريف رابوبورت للثقافة باعتبارها أسلوب حياة.
- العوامل الثقافية تؤثر على البيئة المبنية ابتداء من اختيار الموقع.
- سيتم اختبار مدى تأثير العوامل الثقافية الإجتماعية الخمس لرابوبورت على تشكيل مساكن وبيئة اشكيت من خلال دراسة اسلوب حياة السكان في المنطقة.

3.1.4 المنهجية المتبعة لدراسة الحالة:

اتبع الباحث المنهج التاريخي لرصد البيئة العمرانية في منطقة اشكيت وأسلوب حياة السكان ما قبل التهجير سواء أسلوب حياتهم اليومي أو أسلوب حياتهم في أيام المناسبات المختلفة.

ثم اتبع الباحث المنهج الاستنباطي التحليلي للربط بين أسلوب حياة المجتمع في قرية اشكيت وتصميم القرية والمساكن فيها **مع أخذ عوامل رابوبورت الثقافية الخمس كمعيار** يتم من خلاله تتبع تأثير اسلوب الحياة على تصميم القرية والمنازل.

واتبع الباحث المنهج الوصفي لوصف مجتمع المُهجر إلى القرية 12 وتصميم القرية والمساكن فيها، ثم رصد الباحث التحديات التي واجهت الجيل الأول المهجر الذي عجز عن ممارسة أسلوب حياته المعتاد في ظل البيئة العمرانية الجديدة.

واخيراً وعبر المنهج الاستنباطي التحليلي وبناء على نظرية الثبات والتغير ومن خلال تتبع الباحث ورصده للتغييرات التي تم إحداثها في البيئة العمرانية والمساكن من قِبل المجتمع المهجر قام الباحث بإثبات صحة فرضية البحث.

ومن المهم أن نذكر أن نظرية الثبات والتغير لرابوبورت تشير إلى أن ثبات العنصر المعماري عبر الزمن يدلل على ارتباطه بعنصر ثقافي نووي لدى المجتمع، إلا أن الباحث عكس أتجاه الاستنباط هاهنا فهو تتبع العناصر المعمارية التي تم تغييرها أو التي أُضيفت على البيئة العمرانية في الموطن الجديد للاستدلال على ارتباطها بعنصر ثقافي نووي لدى المجتمع المُهجر.

3.1.5 الأسئلة الأساسية المطروحة لدراسة الحالة:

لتتمكن الدراسة من الوصول لإجابة السؤال الأساسي للبحث وهو:

ماهي التغيرات الثقافية التي حدثت للمجتمع المُهجر والناتجة عن إختلاف البيئة العمرانية الجديدة لذلك المجتمع عن بيئته الأم؟

يتوجب على الباحث أن يجيب على جملة التساؤلات التالية من خلال العمل الميداني:

- ماهي سمات البيئة العمرانية في منطقة اشكيت؟ وما شكل مساقط المساكن في المنطقة وأهم سماتها؟
- ما هو أسلوب حياة السكان في المنطقة وما انشطتهم اليومية والموسمية؟
- ما مدى تأثير عوامل رابوبورت الخمس على شكل تلك المساكن وعلى البيئة العمرانية ككل؟
- ماهي أهم سمات البيئة العمرانية للقرية 12؟
- ما هي أنشطة السكان اليومية والموسمية في البيئة الجديدة؟
- ما التغيرات الثقافية الناتجة عن استيطان البيئة العمرانية الجديدة؟
- هل التعديلات التي أجريت في القرية والمنازل تدعم العناصر الثقافية الخمس لرابوبورت باعتبارها نواة ثقافية لمجتمع اشكيت المهجر؟

3.2 قرية اشكيت:

3.2.1 مدخل:

عند الحديث عن قرية اشكيت يجب ان نستصحب كل ما ذكر في الفصل السابق عن تصميم القرى النوبية وأسلوب الحياة فاشكيت هي امتداد لتلك القرى كما أن جميع المساكن بقرية اشكيت بُنيت على نمط المساكن المذكورة في الفصل السابق المخطط (ب-2.4.1) على أنها تمثل نمط المساكن بمنطقة وادي حلفا مع وجود اختلافات طفيفة بين كل مسكن والآخر.

3.2.2 أسلوب الحياة في قرية اشكيت:

3.2.2.1 أسلوب الحياة اليومية بالقرية:

قبل البدء في سرد أسلوب حياة السكان بقرية اشكيت قبل التهجير ينبغي أن نشير إلى أن أغلب سكان القرية يمتهنون الزراعة، كما يجب أن نشير إلى أنه لا تكاد تخلو أسرة من أسر القرية من تغرب فرد او أكثر من أبنائها القادرين على العمل مما زاد من المسؤوليات الملقاة على عاتق النساء.

يبدأ يوم الفتيات في القرية بجلب الماء من النهر بينما يقوم الفتيان بجمع حطب الوقود، وتحضّر النساء الشاي بالحليب مع ساعات الفجر الأولى، ومن بعد تناول الشاي يذهب الأطفال إلى مدارسهم وتبدأ النساء بخبز الفطير وينطلق الرجال إلى المزارع، ومن المهم ان نشير إلى أنه عند جني المحصول أو عند الحوجة عموماً فإنه يتحتم على الجميع المشاركة في اعمال الزراعة.

يقع على عاتق النساء تزيين المنازل التي يتولى تشييدها في الغالب المناصير، كما يقمن – وبالذات الكبيرات في السن منهن– بنسج البروش وأعمال السعف المختلفة، كما يتوجب على النساء طحن الحبوب، وتعمل الفتيات على رعي الماعز وكذلك الشباب.

في الأيام العادية يتناول السكان ثلاث وجبات يأكل فيها أفراد الأسرة معاً جلوساً على البروش، كما يحرصون على تناول الشاي بالحليب خلال فترات متفاوتة من اليوم، وينام أفراد الأسرة خلال فصل الصيف في الفناء الوسطي للدار وقد ينام الرجال في الخارج أحياناً، أما شتاء فينام الجميع داخل الغرف وقد يضطرهم البرد لإيقاد النار خلال الليل طلباً للدفء.

للضيوف مكانة خاصة لدى الأسر فالمندرة هي فراغ موجود بجميع مساكن القرية مخصص لاستقبال الضيوف يهتم لنوبيون بتأثيثه وزخرفته وعلى مستوى القرية تنتشر المظلات وبيوت الضيافة التي ارتبطت بالعمد والمشايخ.

3.2.2.2 اسلوب الحياة في المناسبات المختلفة:

في أيام الأعياد يطوف موكب مديح بالقرية قبيل صلاة العيد حاملاً الرايات الخضر ومن خلفه الصبية، يتجه الموكب إلى ساحة القرية حيث تقام صلاة العيد والتي يصطف فيها الرجال في صف واحد شديد الطول أو صفين طويلين، أما النساء فلم يكن يؤدين صلاة العيد، وبعد أداء الصلاة يتناول الرجال طعامهم معاً في لهواء الطلق، ثم يطوفون على المنازل لتبادل تحايا العيد.

يمثل يوم عاشوراء يوماً مهما يحرص اهل القرية فيه على تناول وجبات خاصة والذهاب لشاطئ النيل خاصة في وجود عرسان جدد أو مولود جديد يشهد أول عاشوراء له وللأطفال ألعابهم الخاصة في ذلك اليوم كما يردد فيه الاهالي أغاني خاصة.

عند خسوف القمر يحرص الأهالي على إيقاد نار الطهي في الطرقات دون تغطية الإناء لصعود البخار إلى السماء، وبعد نضج الطعام يوزع على الجميع دون استثناء (كرامة)، ويرددون خلال نضج الطعام وطوال فترة الخسوف أدعية معينة وابتهالات مخصوصة حتى يطل عليهم القمر من جديد.

في مناسبات الزواج يخصص الديواني لاستقبال ضيوف العريس بينما تجلس العروس في غرفة (الديواني هاسيل) المقابلة للديواني، وتقام مراسم الزواج في الديواني، وبعد العقد تقيم العروس مع زوجها في منزل ذويها في الجزء المخصص لذلك، وتستمر تلك الإقامة حوالي سبعة أيام وقد تمتد لأكثر من ذلك قبل انتقالهما لمنزلهما الخاص.

3.2.3 تصميم قرية اشكيت:

شكل رقم (3.2.1): صورة جوية تظهر جزء من قرية اشكيت- المصدر: جوهانسون، 2014) تعديل الباحثة.

تتميز قرية اشكيت بعكس العديد من القرى النوبية باتساع مساحتها فهي من أكبر القرى النوبية المأهولة شمال المدينة، خططت القرية على سهل منحدر وعلى سفح سلسة من الجبال الصخرية الممتدة جنوباً وشمالاً وتمتد تلك المساكن طولياً بالتوازي مع نهر النيل وتفصلها عن النهر المزارع الممتدة وتنتهي تلك المزارع غرباً بغابات كثيفة من أشجار النخيل محاذية للنهر بما يتطابق مع استخدامات الأرض في جميع القرى النوبية (انظر الخارطة رقم 2.4.3)، وتتجمع المباني الخدمية للقرية في الاتجاه الجنوبي منها، والمخطط التالي يوضح قرية اشكيت.

شكل رقم (3.2.2): صورة جوية لتوضيح استخدامات الأرض في قرية اشكيت- المصدر: جوهانسون، 2014) تعديل الباحثة.

متوسط مساحة المساكن في القرية 400 متر2 وشُيدت معظم المنازل من الطين اللبن (الجدول 3.2.1 يوضح احصاءات المنازل وفقاً لمواد البناء) وصممت المنازل بنظام الفناء الوسطي كما سبق شرحه، كما اتسمت القرية بتدرج عرض الشوارع دون وجود نهايات مغلقة لها، وبالتخطيط الشبكي الذي تشكل فيه كل أربعة منازل كتلة بنائية منفصلة (block) تحيط بها الشوارع ويتجلى هذا التخطيط الشبكي بوضوح في وسط القرية حيث الأرض منبسطة بينما تتراص المنازل منفردة في تخطيط خطي في الجهة الجنوبية من القرية بما يتلائم مع تضاريس المكان وفي

وسط قرية اشكيت يوجد مبنى مميز بني من طابقين بطراز حديث بعكس منازل القرية ذات الطراز النوبي (دفع الله، 2003) (يمكن اعتبار ذلك المبنى landmark، كما يمكن اعتبار الطريق الرئيسي الفاصل بين المنازل والمزارع حد فاصل edge وفقاً لكيفل لينش إذ ساهمت هذه العناصر في توضيح الصورة الذهنية للقرية لدى ساكنيها أو العابرين – انظر نظر Lynch, 1960).

ولقرية اشكيت طريق رئيسي واحد يبلغ متوسط عرضه 15 متر ويخترق القرية من جنوبها إلى شمالها رابطاً إياها بمدينة حلفا جنوباً وببقية القرى النوبية شمالاً، ويفصل ذلك الطريق بين المزارع والمساكن في القرية.

الخارطة رقم 3.2.2 توضح استخدامات الأرض بقرية اشكيت.

الجدول التالي يوضح إحصاء المنازل قبيل التهجير لمنطقة اشكيت:

جدول رقم (3.2.1): يوضح إحصاء المنازل في قرية اشكيت قبيل التهجير- المصدر: دار الوثائق القومية.

العمودية	المشيخة	عدد المنازل	عدد الحجرات	عدد الأشخاص	متوسط عدد حجرات المنزل	متوسط عدد الأفراد للحجرة الواحدة
منازل القش	اشكيت شمال	30	52	112	1.7	2
	اشكيت جنوب	8	16	39	2	1.4
منازل اللبن	اشكيت شمال	272	1315	909	4.9	0.7
	اشكيت جنوب	238	1281	783	5.4	0.6
منازل الطوب الأخضر	اشكيت شمال	2	6	12	3	2
	اشكيت جنوب	6	25	26	4.2	1
منازل الحجر	اشكيت شمال	10	35	25	3.5	0.7
	اشكيت جنوب	11	60	28	5.5	0.8

3.2.4 ارتباط تصميم القرية بثقافة السكان:

- يتشابه أسلوب الحياة العام للسكان في قرية اشكيت وانعكس ذلك التشابه على مخطط القرية من خلال تشابه الكتل البناية للمساكن (Blocks) في شكل مربع متساوي الأضلاع وهنا يصلح ان نشير إلى أن المسقط المربع من دلالاته النفسية أنه يشير إلى العدل والمساواة والتماثل، وقد اتاح هذا التصميم لكل منزل من منازل القرية أن يطل على شارعين في تماثل تام، كما عبر تصميم القرية عن تشابه اسلوب حياة السكان من خلال تشابه الشكل العام للواجهات وتشابه مساقط المنازل واستخدامات الفراغات. الصورتان (3.2.1) و(3.2.2) توضحان تشابه الشكل العام للواجهات.
- الإمتداد الطولي للقرية على ضفاف النيل وحرص السكان على توجيه مداخل المنازل باتجاه النيل (أيوب، 2007) يدل على ارتباط السكان الوثيق بالنهر وذلك ما أكدته دراسة د. محمد خير عثمان المذكورة بالقسم الرابع من الفصل الثاني، ولعل الامتداد الطولي المقتبس من النيل ذو دلالة عميقة في نفوس النوبيين فهم حتى في صلاتهم يقفون في صفوف قليلة العدد ممتدة الطول بدلاً من الوقوف في عدة صفوف قصيرة متتالية.
- تدرج أبعاد الشوارع في القرية ابتداء من شارعها الرئيسي الوحيد الموازي للنيل إلى أزقتها الضيقة الفاصلة بين مجموعات المساكن يوفر قدر من الخصوصية لسكان القرية ويجعل أزقتها الداخلية خالية من الغرباء العابرين ويوفر قدراً كبيراً من الأمان والخصوصية للسكان (انظر خارطة رقم 3.2.2).

صورة رقم (3.2.1) على اليمين: توضح الواجهات الممتدة بإحدى قرى حلفا- المصدر: https://www.facebook.com/1318418247/posts/10220314692640293/?sfnsn=mo&d=n&vh=i

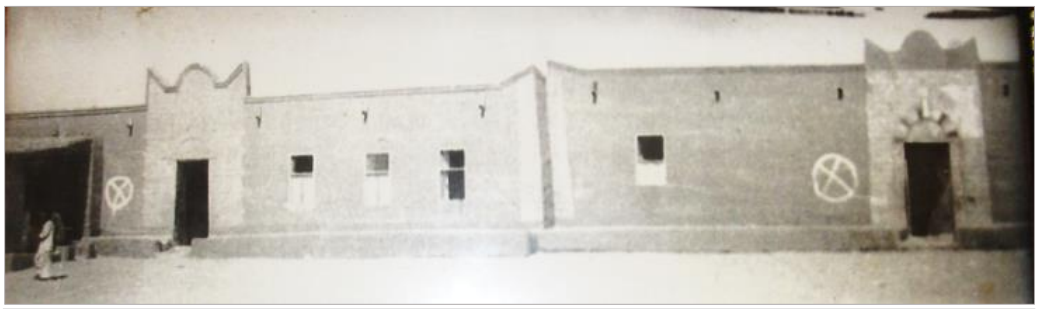

صورة رقم (3.2.2): توضح واجهة مربوع مكون من منزلين متلاصقين- المصدر: الأستاذ حمدي دهب من سكان القرية 12.

3.2.4.1 ارتباط تصميم القرية بثقافة السكان من خلال عوامل رابوبرت:

على مستوى القرية يمكن أن نتتبع أربعة عوامل ثقافية من أصل خمسة (يصعب تتبع الاحتياجات الأساسية على مستوى القرية) وهي:

- الخصوصية:

وفر تصميم قرية اشكيت لافراد القرية قدر من الخصوصية وذلك من خلال:

- وجود طريق رئيسي واحد فقط يربط القرية بما حولها من المناطق المأهولة.
- الطرق الداخلية الضيقة للقرية والتي تسمح للمشاة فقط بالعبور من خلالها (انظر الخارطة رقم 3.2.2).
- من خلال واجهات المنازل المصمتة إلا من نوافذ المندرة مما يجعل المنزل النوبي أشبه بقلعة حصينة، والبوابة النوبية الخشبية ومفتاحها المبتكر يعززان من ذلك الشعور إذ تبعث البوابة نوع من الرهبة لدى الغريب (انظر الصور رقم 3.2.2 و 2.4.4).

- وضع النساء:

لم تكن المرأة في قرية اشكيت معزولة عن الغرباء تماماً فهي تمارس العديد من المهام خارج المنزل من زراعة ورعي وسقي الماء والأنس على مساطب الدور خاصة في وقت الضحى وساعد على ذلك قرب المزارع من المساكن والخصوصية التي وفرها تصميم القرية الموضح في النقطة اعلاه (انظر الصور بالأرقام 2.4.5 و 2.4.11 و 2.4.12 و 2.4.13).

- التواصل الأجتماعي:

المجتمع النوبي مجتمع متكافل مترابط وقد أتاح تصميم القرية للسكان تحقيق قدر كبير من التواصل الإجتماعي من خلال:

- وجود ساحات خالية وسط المنازل يستخدمها الاطفال للعب بأمان كما تستخدم لجمع الطعام في المناسبات المختلفة وللصلاة في الاعياد (انظر الصور 3.2.7 و 3.2.5 و 3.2.4).

– توفر بيوت الضيافة والمظلات في اماكن متفرقة من القرية يتناول فيها الرجال الشاي ويتبادلون أطراف الحديث (انظر الصورة رقم 3.2.6).

– وجود المساطب (توقور) أمام واجهات المنازل شكل أماكن لقاء مفتوحة للنساء والرجال والأطفال (انظر الصورة رقم 3.2.3).

– الانشطة اليومية مثل جلب المياة من النهر تعزز التواصل بين نساء القرية وبعد المسافة النسبي بين المنازل والنهر يزيد الوقت الذي تمضيه الفتيات معاً (انظر الصورة رقم 2.4.13).

– الأنشطة الموسمية مثل صلاة العيدين والتي كانت تُصلى في الهواء الطلق على الرمال كانت تمثل نوعاً من التواصل الإجتماعي بين أفراد القرية (انظر الصورة رقم 3.2.5).

– نهر النيل كان يمثل مكاناً هاماً للتواصل الإجتماعي إذ ارتبطت به العديد من عادات وطقوس الأهالي، كما كان يمثل وسيلة اتصال بين القرية والمناطق المختلفة عبر المراكب الشراعية الصغيرة بالإضافة لكونه المكان الأساسي للترفيه هناك.

- تكوين الاسرة:

على مستوى القرية أثر غياب العديد من أرباب المنازل نتيجة للهجرة على توزيع المساكن من خلال ظهور أحياء مكونة من أبناء العمومة بحيث يُتاح للعم او الجد رعاية أبناء الغائبين (انظر الشكل رقم 2.4.4).

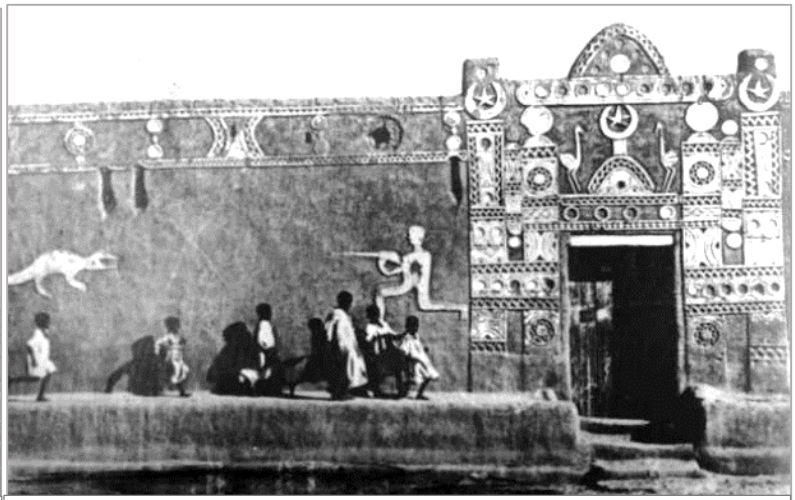

صورة رقم (3.2.3): تظهر لعب الأطفال على مسطبة إحدى الدور بقرية اشكيت وتوجد صورة لذات المنزل بـ(وينزل، 2007) - المصدر:
https://alwan.elwatannews.com/news/details/2294323/%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%88%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%88%D8%A8%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%AF%D9%8A%D9%85%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%AD%D9%8A%D9%84-%D9%84%D9%83%D9%88%D9%85-%D8%A3%D9%85%D8%A8%D9%88-

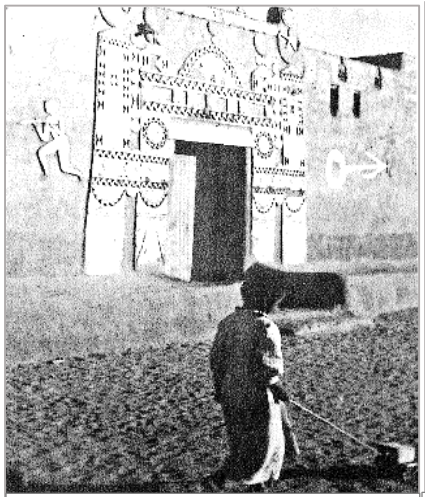

صورة رقم (3.2.4): تظهر لعب أحد الأطفال بأمان في ساحة أمام أحد منازل اشكيت- المصدر: (وينزل،2007)

صورة رقم (3.2.5): صلاة العيد على الرمال بإحدى القرى النوبية قبل التهجير- المصدر: صفحة معارف نوبية على الفيسبوك

الصورة رقم (3.2.6): تظهر تناول الطعام في احد دور الضيافة بالنوبة القديمة قبل التهجير- المصدر: صفحة معارف نوبية على الفيسبوك

الصورة رقم (3.2.7): تظهر صحاف الطعام التي تخرج من منازل القرية في الأتراح من باب التكافل بين افراد المجتمع- المصدر: صفحة النوبة nubia على الفيسبوك

الصورة رقم (3.2.8): تظهر جلسة لإحدى الأسر النوبية قبيل التهجير-المصدر: صفحة معارف نوبية (حسن ابراهيم داود) على الفيسبوك.

3.2.5 المنازل بقرية اشكيت:

تتكون منازل اشكيت من نفس الفراغات المكونة للمنزل النوبي إذ يحتوي المنزل على البوابة والدهليز والمندرة والديواني وغرفة الديواني هاسيل والمطبخ وغرفة للتخزين وغرفة تخصص للماشية شتاء وفناء وسطي ومسطبة أمام واجهة المنزل. وقد تحدثنا تفصيلاً عن تلك الفراغات في الفصل الثاني القسم الرابع.

3.2.6 ارتباط تصميم منازل اشكيت بثقافة السكان:

تميزت قرية اشكيت بأنها من أكثر قرى وادي حلفا تمسكاً بالطراز النوبي في تصميمها، وقد وصفها معتمد التهجير حسن دفع الله بأنها قرية نموذجية من حيث انتمائها النوبي التقليدي (دفع الله، 2003)، ومن هنا فإن

ما يربط تصميم منازل النوبيين على العموم بالثقافة النوبية ينطبق على تصميم منازل اشكيت وثقافة سكانها. وقد تناولت العديد من الدراسات المنزل النوبي من حيث ملائمته للبيئة واستخدامه لمواد البناء المحلية المتاحة وتميزه عبر الزخارف الغنية الموزعة على جنبات أبوابه أو من خلال الإشارة إلى أسلوب بنائه عبر النفير الذي يقوم به أهالي النطقة وللبصمة التي تضعها ربة المنزل فيه عبر الرسوم والزخارف وقطع السعف التي تزين حوائطه.

وقد ذكر د. هاشم خليفة في الحلقة الثالثة من الحلقات التي سُجلت معه ضمن برنامج الوراق أن الصحن أو الفناء الوسطي في العمارة النوبية جاء إشباعاً لحاجة الأسرة النوبية –التي غاب عنها ربها– للأمان؛ إذ يوفر الصحن الوسطي قدراً كبيراً من الأمان لتلك الأسر. وواجهات المنزل النوبي الخالية من النوافذ بما يماثل القلاع الحصينة أيضاً جائت استجابة لحاجة تلك الأسر للأمن، وتمت الاستعاضة عن غياب الفتحات التي تربط بيئة المنزل الداخلية بالبيئة الطبيعية الخارجية بالنقوش والزخارف والألوان التي تزين الجدران الداخلية. ويرى د. الطيب إدريس القوني أن تصميم المنزل النوبي بفناءه الوسطي يعبر عن انغلاق المجتمع النوبي على نفسه ورفضه أو تخوفه من الغرباء. بينما يرى الباحث أن تصميم المنازل جاء استجابة لكلا السببين المذكورين سابقاً.

ولا يمكننا الحديث عن المنزل النوبي دون الإشارة للزخارف التي تزين جدرانه خاصة البوابة والديواني والتي جاءت كتعبير عن مخاوف النوبيين من العين والحسد أو إشارة للمكانة الإجتماعية ...إلخ، اشتملت تلك الزخارف على أشكال و رموز من شتى الحقب التي مرت على المنطقة إذ نجد فيها رموز فرعونية ومسيحية واسلامية، كما احتوت على عناصر زخرفية الهدف منها لفت الانتباه لوقاية أهل الدار من شر العين مثل رسوم المفترسات خاصة التمساح الحاضر بكثرة في الزخارف، كما يتم وضع اجزاء من كائنات محنطة لذات الغرض، أما استخدام الصحون في زخرفة البوابات فقد كانت تعبير عن المكانة الاجتماعية لصاحب الدار فكلما زاد عدد الصحون دل ذلك على أن صاحب الدار ذو مكانة اجتماعية مرموقة.

وللتوسع في جانب الزخارف النوبية يمكن الرجوع لـ (وينزل، 2007) وفي جانب تقنيات البناء النوبي يمكن الرجوع إلى (فتحي، 1969).

3.2.6.1 ارتباط تصميم المساكن بأسلوب حياة السكان وفقاً لعوامل رابوبورت الخمس:

- **الاحتياجات الأساسية:** عند تتبع الاحتياجات الأساسية مثل الجلوس والنوم وتناول الطعام لدى مجتمع الدراسة نجد أن أماكن النوم تختلف شتاء عن فصل الصيف ففي الصيف تنام النساء مع الأطفال في الفناء الذي يوفر لهم قدراً من الخصوصية والأمان بينما ينام الرجال في الخارج، أما في الشتاء ينام الجميع داخل الغرف طلباً للدفء بل تخصص غرفة لنوم الأغنام خشية عليها من برد الشتاء، أما الجلوس فنجد أن الجلوس على الأرض كان هو الشائع سواء عند تناول الطعام أو خلال ممارسة الاعمال المختلفة (انظر الصور 2.4.9 و3.2.6 و 3.2.8 و3.2.9)، وشجع على ذلك انتشار صناعة بروش السعف ووجود المساطب امام الدور، بينما تستخدم الكراسي والتي تصنع في الغالب من سعف النخيل لإجلاس الضيوف وتوضع في المندرة كما تستخدم الأسرّة أيضا للجلوس (أنظر الصورة رقم 2.4.7).

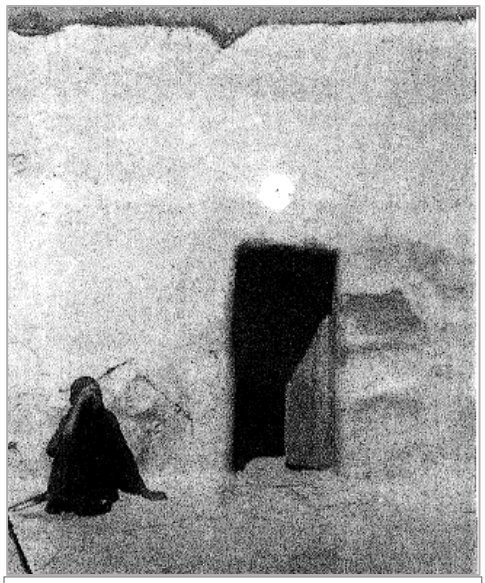

صورة رقم (3.2.9): تظهر امرأة تجلس أرضاً مام مدخل غرفة بأحد منازل اشكيت- المصدر: (وينزل،2007)

- **تكوين العائلة:** عانى مجتمع اشكيت كبقية القرى النوبية من هجرة القادرين على العمل فوفقاً لاحصائيات التهجير بلغ عدد المقيمين باشكيت 1860 مقيم مقابل عدد 1201 متغرب من أبناء القرية (دفع الله، 2003) أي أن الغائبين يمثلون نسبة 39% من اجمالي السكان، ومن خلال الجدول رقم 3.2.1 نجد أن متوسط عدد الأفراد المقيمين في المنزل الواحد هو 3.3 فرد فقط لكل منزل، وقد أثر ذلك على تكوين العائلة من خلال زيادة الترابط الأسري على مستوى أبناء العمومة وظهر ذلك عبر تجاور منازل الإخوة في القرية، بل اندماجها معاً في كثير من الاحيان من خلال بوابات تربط بينها، ومن خلال انتشار الأسر الممتدة ليُعنى الجد بأحفاده الذين غاب عنهم والدهم، وهنا يمكن أن نشير إلى أن جميع من أجرى معهم الباحث مقابلات وجدوا صعوبة في تحديد عدد الأفراد المقيمين في المنزل قبيل التهجير وذلك لطول الفترة الزمنية ولأنه لا توجد حدود واضحة فاصلة بين منزل اسرة ما ومنازل أفراد الأسر الأخرى.

وقد شكل تكوين العائلة في الأسر النوبية بوضعه ذاك تحدياً للجان الإحصاء والتي قيمت في بادئ الأمر التعويض بمنزل واحد مقابل كل منزل دون مراعاة لعدد الأسر التي تقطنه، إلا انها ونتيجة لاعتراض الاهالي أعادت تقييمها بمنح كل أسرة منزل منفصل (دفع الله، 2003).

كما ان غياب رب الأسرة أثر على تصميم المسكن فجاء التصميم موفراً لقدر كبير من الأمان والحماية لساكنيه الذين غاب عنهم راعيهم، فالتصميم شبيه بالقلاع الحصينة مع بوابة ضخمة بمفتاح مميز يصعب اختراقها.

- **التواصل الاجتماعي:** تمثل المندرة والديواني في منازل اشكيت فراغين شديدا الأهمية إذ توضع فيها أفضل الأثاثات ويتم تزيين حوائطهما وبالأخص الديواني بأفضل الزخارف المتاحة من نقوش وأعمال سعف وغيرها، كما أن المندرة والديواني والبرندة المخصصة لاستقبال الضيفات من النساء هي الفراغات الوحيدة في المنزل النوبي التي تحظى بالقدر الكافي من الإضاءة خلال النهار وذلك ربما لنفي التوجس والقلق الذي ينتج عن التواجد في فراغ مظلم مغلق كما بقية غرف المنزل، مما يدل على تقدير الاهالي لضيوفهم سواء ضيوف العرس أو الضيوف المعتادين (انظر الصور بالأرقام 2.4.7 و 2.4.8 و 3.2.10).

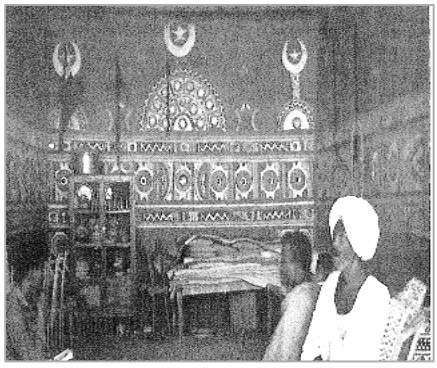

صورة رقم (3.2.10): تظهر زخارف ديواني بأحد منازل اشكيت- المصدر: (وينزل، 2007)

- **الخصوصية:** وجود المندره الخاصة بالضيوف مباشرة مع مدخل المنزل جاء حفاظاً على خصوصية الأسرة وحماية لها من عيون الغرباء، لكن في حالة العرس فإن ضيوف العرس يخترقون فناء المنزل ليصلوا إلى الديواني حيث يقيم العروسان، ويُعد ذلك مقبولاً لدى مجتمع اشكيت (انظر الشكل رقم 2.4.5 ب).
- **وضع المرأة:** كنا قد ذكرنا في الفصل الثاني القسم الرابع بالجدول رقم 2.4.2 أن المجتمعات النوبية في المنطقة شمال الشلال الثاني تعتبر أقل عزلاً للنساء من المجتمعات النوبية جنوب الشلال الثاني وذلك من خلال التحليل المقارن لتصميم المسكن، وبما ان قرية اشكيت هي ضمن قرى شمال الشلال فإنها أقل عزلاً للنساء لكنها وكبقية المجتمات الاسلامية تعطي النساء مكانة خاصة ففراغات

المنزل التي تستخدمها النساء بكثرة مثل المطبخ والبرندة تكون بعيدة عن مدخل المنزل حفاظاً على النساء من أعين الغرباء، كما يمثل فناء الدار الوسطي فراغاً مهما تمارس فيه المرأة العديد من المهام فهو يشكل حيناً امتداداً للمطبخ (انظر الصورة رقم 3.2.12) كما يتم فيه غسل الملابس ونشرها، وتنام فيه النساء مع الأطفال ليلاً في فصل الصيف.

ولا يفوتنا ان نذكر ان النساء في قرية اشكيت كن يحرصن على التعاون في القيام بمهامهن العديدة سواء داخل المنزل أو خارجه (المقابلات) فيذهبن لجلب الماء ضمن مجموعات وينسجن السعف ويزخرفن المنازل أيضاً ضمن مجموعات (انظر الصور بالأرقام 2.4.12 و 2.4.13 و3.2.11).

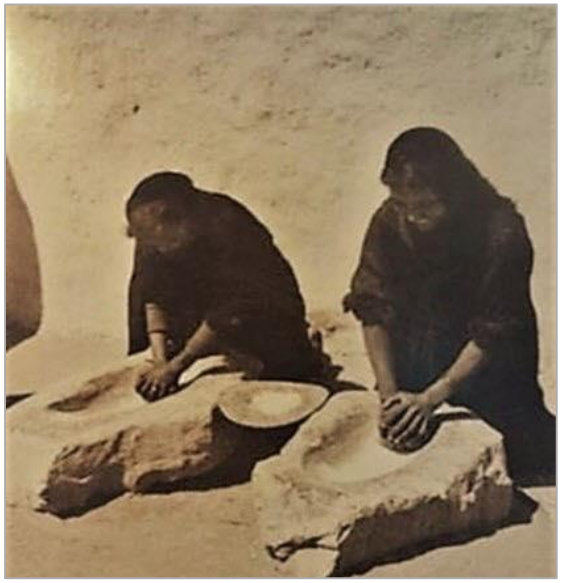

صورة رقم (3.2.11): يوضح قيام النساء النوبيات بطحن حبوب القمح سوياً- المصدر: صفحة معارف نوبية على الفيسبوك

الصورة رقم (3.2.12): تظهر استخدام الفناء الوسطي كامتداد للمطبخ من قبل لنساء- المصدر: صفحة ذاكرة النوبة على الفيسبوك.

3.3 القرية 12 بحلفا الجديدة:

3.3.1 تصميم القرية 12:

شُيّدت القرية بعدد 175 منزل، وهي بذلك مختلفة عن بقية القرى المهجّرة والتي تم تشييد أغلبها بعدد 250 منزل والخارطة التالية توضح تخطيط القرية 12 بامتداداتها المستقبلية.

شكل رقم (3.3.1): خارطة توضح القرية 12 استخدامات الأرض والتوسعة المستقبلية للقرية- المصدر: إدارة المساحة بوزارة التخطيط العمراني- مدينة حلفا الجديدة، تعديل الباحثة.

تمتد القرية على مساحة مربعة، وتحيط بها الحواشات من جميع الاتجاهات، وتتساوى فيها أبعاد الشوارع دون تدرج واضح وجميع شوارعها ذات نهايات مفتوحة مخططة بشكل شبكي. تتكون الوحدات البنائية في القرية (blocks) عند التهجير من عدد 10 منازل، ثلاثة منها تطل على اتجاه الشمال وثلاثة على اتجاه الجنوب مع اربعة منازل تفتح على شارعين (ناصية) بمجموع خمسة منازل في كل اتجاه. مساحة المنزل الواحد تتراوح من 500–600 متر2، وتتخلل تلك الوحدات العديد من المساحات المفتوحة وتقع المباني الخدمية في

الجزء الشرقي منها على امتداد الشارع الرئيسي للقرية إذ أن اول مايقابل الزائر لدى دخوله القرية المسجد ومن بعده بقية الخدمات. وينبغي ان نشير إلى أن سوق القرية لم يشيد إلى الآن ويشتري الاهالي حاجياتهم من المدينة، كما أنهم أضافوا النادي ضمن فراغات القرية الخدمية، وجميع واجهات المساكن بالقرية متشابهة تماماً.

3.3.2 منازل القرية 12:

صمم منازل القرية 12 الاستشاري المحلي (شركة اتحاد المهندسين) بينما شيدها المقاولان المحليان حمد فضل وحسن عبدالمنعم (أيوب، 2007) وتكونت من غرفتين بأبعاد 4*3 متر مع برندة بابعاد 6*3 متر مع صالون ومرحاض، وتراوحت مساحات القطع السكنية من 500–600 متر2 وتم تشييد المباني والأسوار من البلوكات الأسمنتية المفرغة والأسقف من الاسبستوس (دفع الله، 2003) وفتحات النوافذ باتجاهي الشمال والجنوب، المخطط التالي يوضح نموذج لمنازل القرية 12:

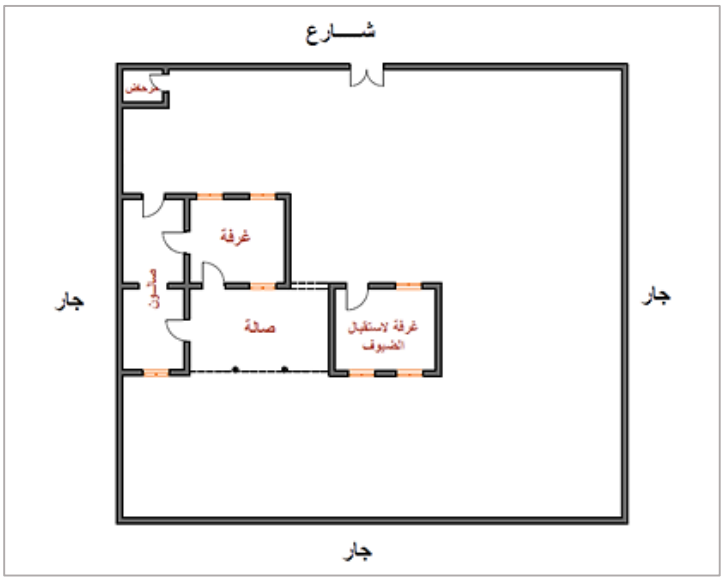

شكل رقم (3.3.2): مسقط يوضح نموذج المساكن في القرية 12 بحلفا الجديدة (نموذج مساكن ذوي الدخل المتوسط)

المصدر: إعداد الباحثة

3.4 المقارنة والتحليل:

3.4.1 مقارنة تصميم القرية 12 بقرية اشكيت:

3.4.1.1 أسلوب الحياة التقليدي للمهجرين بمواجهة البيئة العمرانية المخططة (صدمة الجيل الأول):

وفقاً لما ذُكر بالفصل الثاني من الدراسة في قسمها الاول يمكننا ان نصنف قرية اشكيت باعتبارها بيئة عمرانية تقليدية بينما القرية 12 بيئة عمرانية مخططة، ومن خلال الدراسات التي اطلع عليها الباحث مثل

(فرحات، 1999)، (بلقاسم، 2009)، (رانيا طه، 2010) – والتي خَلُصت إلى ان البيئات التقليدية تتعرض لتحديات مواكبة التطور التكنلوجي والعولمة، بينما تواجه البيئات المخططة تحديات تلبية الحاجات الثقافية لمستخدميها بما يحافظ على خصوصية هويتهم و تعزيز شعورهم بالإنتماء لبيئاتهم تلك، وكنتيجة لتلك التحديات يسلك المجتمع المستخدم للبيئة العمرانية السلوكيات التالية:

- إما هجر تلك البيئات العمرانية.
- أو محاولة إدخال تعديلات عليها لتتماشى مع متطلبات المستخدمين وسلوكياتهم.
- أو اكتساب الأفراد لسلوكيات جديدة للتأقلم مع تلك البيئات العمرانية.
- أو الدمج بين اثنين أو أكثر من الإحتمالات أعلاه.

فمن خلال ما سبق سنستعرض التحديات التي واجهت ممارسة المجتمع لأسلوب حياته المعتاد في ظل البيئة العمرانية الجديدة بالقرية 12 والتي يمكن تلخيصها في النقاط أدناه:

تحديات ارتبطت بالموقع الجغرافي:

أدى اختلاف الموقع الجغرافي لاندثار العديد من العادات التي ألفها السكان على امتداد عقود، ففقدان نهر النيل الذي كان يمثل ركيزة أساسية في العادات المرتبطة بالزواج والولادة والوفاة ومناسبات عاشوراء...إلخ سبب حالة من التيه لدى السكان إذ كيف يمارسون ما اعتادوه من طقوس دون النهر؟!.

أما اجتماع النساء لجلب المياه من النهر فقد استبدل باجتماعهن لجلب المياه من بئر القرية أولاً (انظر الصورة بالرقم 3.4.3)، ثم اندثرت تلك الآبار مع وصول إمدادات المياه داخل المنازل. كذلك فقدان أشجار النخيل تسبب في ذات الأثر لارتباطه بأغلب عادات المجتمع.

التربة الطينية بخشم القربة وانهمار الأمطار عليها تسببت في زهد النوبيات في لباسهن التقليدي (الجرجار) خاصة الشابات منهن، إذ لم يعد لبسه عملياً لطبيعة التربة في الموطن الجديد.

انهمار الأمطار بغزارة في الموطن الجديد جعل اعمال الزخرفة الطينية التي كانت تنفذ على البوابات في النوبة القديمة غير ملائمة.

تحديات ارتبطت بتصميم القرية:

وذلك من خلال أربعة نقاط:

- **المسقط المربع للقرية:** امتداد القرية على مساحة مربعة أدي لنوع من الحيرة لدى السكان الذين اعتادوا امتداد المساكن طولياً، وقد ذكر المعماري عبد الله صبار المولود بقرية اشكيت أن أول عيد فطر يمر على المهجّرين في القرى

الجديدة شهد اضطراباً شديداً إذ اعتاد السكان في اشكيت التحرك من منزل إلى منزل خلال المعايدات، وكانت هذه المنازل اماكن لتجمع الجماعات الصغيرة واحدة لكل منطقة صغيرة، واعتاد الرجال الذهاب في خط مستقيم من مكان لآخر حيث كانت القرية مخططة طولياً على امتداد النيل، وكانوا يتوقفون لتناول القهوة في كل منزل يتم اختياره. لكن في خشم القربة وبسبب تخطيط القرية على مساحة مربعة اختلف الرجال في تحديد مسار الحركة للمعايدات ودار نقاش طويل حول أيهما اكثر أهمية نظام المنازل أم المسار المستقيم؟، و توصلوا إلى أن المسار المستقيم أكثر أهمية فانقسموا في نهاية المطاف بحيث شطروا الشكل المربع للقرية وسارت كل مجموعة في خط مستقيم على حدة (وينزل، 2007).

- **عدم وجود الأماكن العامة والمظللة في القرية:** لم يجد السكان في بيئتهم الجديدة ما اعتادوا عليه من بيوت الضيافة والمظلات والمزيرات الموزعة في الشوارع والأفنية كما كان الحال في اشكيت، كما خلت قراهم الجديدة من الأشجار تماماً وقد قلل ذلك من التواصل الاجتماعي بين الأفراد.
- **عدم وجود معالم بارزة في القرية:** التشابه التام في منازل القرية مساقطها وواجهاتها وعدم وجود أي مباني مميزة أدى لكثير من اللبس في تحديد من ينتمي إلى ماذا!!، فكثيراً ما كان يجد أحد السكان نفسه في منزل جيرانه عن طريق الخطأ (المقابلات)، وأدى ذلك لضياع الهوية وضعف الشعور بالإنتماء للمكان.
- **تساوي ابعاد الشوارع ذات النهايات المفتوحة والتخطيط الشبكي:**

غياب التدرج في أبعاد الشوارع مع التخطيط الشبكي للقرية أدي لانعدام الخصوصية فصارت جميع شوارع القرية عرضة لمرور الغرباء، خاصة مع ظهور الفئات المهمشة التي استوطنت اطراف القرية في مساكن

عشوائية مما ساهم في زيادة معاناة الاهالي بسبب المظاهر السالبة لتلك العشوائيات، الخارطة التالية تظهر انتشار السكن العشوائي حول القرية 12.

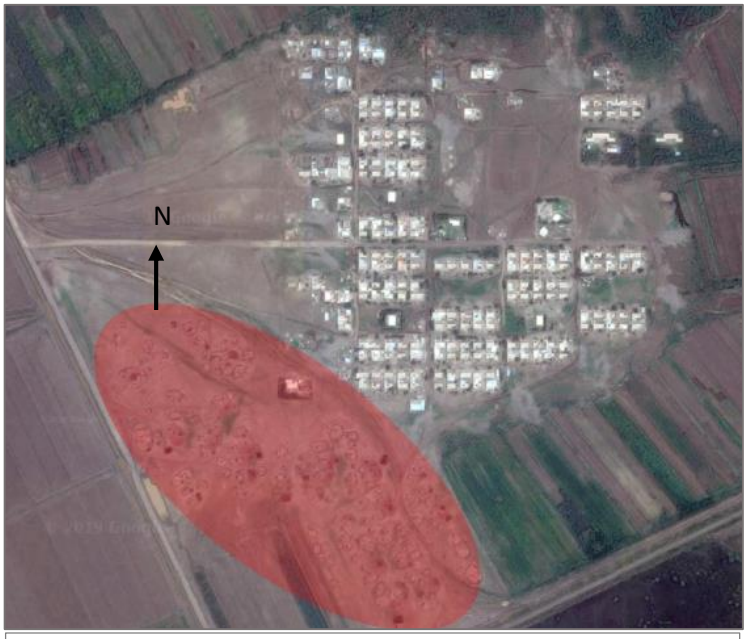

شكل رقم (3.4.1): صورة جوية توضح المساحة التي تنتشر عليها قطاطي السكن العشوائي حول القرية 12 -المصدر: خرائط قوقل

- **<u>تحديات ارتبطت بتصميم المنازل:</u>**

وذلك من خلال النقاط الأربع أدناه:

- **نقص عدد الفراغات في المنزل:**

بناء على الجدول رقم 3.2.1 فإن متوسط عدد الحجرات لبيوت اللبن وهي الأكثر شيوعاً في اشكيت كان 5 حجرات للمنزل الواحد بينما تقلص هذا العدد في القرية 12 إلى حجرتين فقط، وقد ذكر دفع الله في كتابه تهجير النوبيين أن السكان اعترضوا على قلة عدد حجرات المنزل إلا أنهم اقتنعوا بها في ضوء تكلفة التشييد العالية (دفع الله، 2003)، وعليه فإن قلة عدد الحجرات وزيادة كثافة المستخدمين للغرفة الواحدة كانت من أهم المشكلات التي واجهت السكان (أنظر الصورتين 3.4.4 و 3.4.5) فزيادة الكثافة تعني قلة الخصوصية مما يضعف شعور الفرد بالاستقلالية وتحقيق الذات (انظر تدرج الاحتياجات الانسانية وفقاً لهرم ماسلو أدناه).

الشكل رقم (3.4.2): هرم ماسلو للاحتياجات الانسانية- المصدر: www.wikimedia.org يناير 2020

- **عدم تخصيص أماكن للحيوانات:**

لم يجد اهالي اشكيت لدى تهجيرهم أماكن مخصصة لحيواناتهم مما اضطرهم لمشاركة منازلهم معها؛ رغم ما يترتب على ذلك من مشاكل صحية ونفسية (أنظر الصورتين بالأرقام 3.4.2 و3.4.1).

- **عدم وجود جزء خاص لمناسبات الزواج (الديواني وملحقاته):**

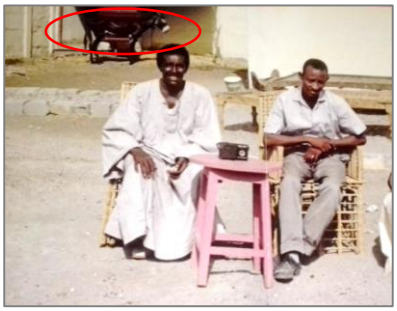

صورة رقم (3.4.1): تظهر الحيوانات تقف داخل أحد منازل المهجرين- المصدر: (بيل، 2009)

صورة رقم (3.4.2): تظهر ماعز تتجول بحرية داخل احد منازل المهجرين- المصدر: (بيل، 2009)

تأثرت عادات الزواج بشدة عقب التهجير فلم يعد بإمكان العروس البقاء في منزل ذويها بعد الزواج وصار لزاماً عليها الانتقال فوراً لمنزل الزوج، وقد شكل ذلك مزيد من الضغط الإقتصادي على الأزواج.

أما حفلات الزواج فقد صارت تتم مساء في أفنية الديواني، ثم أصبحت تتم نهاراً في مظلات مخصصة لذلك كما سنفصل لاحقاً.

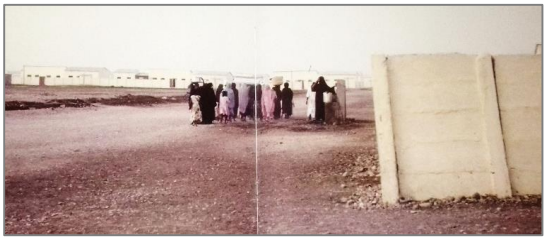

صورة رقم (3.4.3): تظهر اجتماع النساء لجلب المياه من بئر إحدى القرى- المصدر: (بيل، 2009)

- **خلو المنازل من الزخارف وتشابهها مع بعضها تمام الشبه:**

انتقال النوبيين من بيئة عمرانية غنية بالزخارف والألوان لبيئة قاحلة لا شجر فيها ولا نهر مع التشابه شبه التام في المنازل دون ان يعبر أي من المساكن عن تفرد هوية ساكنيه (أنظر الصورة 3.2.15)؛ تسبب في حالة من التخبط والتيه لدى الأهالي.

- **عدم وجود مطبخ او مخزن في تصميم المنازل:**

ويمكن تصور حجم المشكلة بالنسبة للمُهجرين من خلال الرجوع لتصميم المنزل النوبي في الفصل السابق فلم يكن منزل يخلو من هذين الفراغين بل كثيراً ما تتعدد المخازن في المنزل الواحد أحدها للمحاصيل وآخر لمؤونة الطعام..إلخ.

صورة رقم (3.4.4): على اليسار والصورة رقم (3.4.5) في الأسفل تظهران قلة عدد حجرات المنزل (حجرتان) مقارنة بعدد ساكني الدار (ثمانية أطفال بالإضافة للوالدين) – المصدر للصورة: (بيل، 2009)، ولعدد أفراد الأسرة: تسنيم إبراهيم من القرية 1

3.4.1.2 محاولات التأقلم في ظل البيئة العمرانية الجديدة :

في ظل التحول الفجائي الذي طرأ على البيئة العمرانية تعرض مجتمع اشكيت لجملة من التحديات استعرضنا ما ارتبط منها بالعمران سابقاً، ولمجابهة تلك التحديات تخلى المجتمع عن جزء من عاداته وسلوكياته بينما اكتسب سلوكيات وعادات جديدة، كما أن عدداً لا يستهان به من المجتمع المهجر رفض بيئته الجديدة تماماً وهاجر إما إلى الخرطوم أو عائداً إلى الشمال أو خارج البلاد، ومن بقي من المهجرين (وهم المستهدفين من الدراسة) أجروا العديد من التغيرات على بيئتهم الجديدة وفيما يلي سنتتبع تلك التغييرات التي أحدثها المهجرون على قريتهم ومنازلهم:

3.4.1.2.1 تغيرات وإضافات في تصميم القرية:

المظلات: تم إضافة عدد من المظلات في ساحات القرية لاستخدامها في مناسبات الاعياد لتناول الوجبات ولإقامة حفلات الزواج فيها (بديل الديواني) كما تستخدم أيضا في الأتراح من قبل رجال القرية، والخارطة التالية توضح أماكن إقامة المظلات في القرية 12:

شكل رقم (3.4.3): صورة جوية توضح انتشار المظلات المفتوحة في ساحات القرية

المصدر: خرائط قوقل، تعديل الباحثة.

والصور التالية توضح استخدام هذه المظلات في أيام الأعياد لتناول وجبة الفطور:

صورة رقم (3.4.6) تظهر استخدام المظلات من قبل الرجال لتناول الوجبات والاجتماع في الأعياد والمناسبات- المصدر: صفحة شباب القرية 12 على الفيسبوك

- **التشجير:** قام اهالي القرية بزراعة الاشجار في مختلف طرقات القرية وساحاتها (انظر الخارطة رقم 3.2.5)، وقد استخدم الأهالي خاصة النساء والأطفال تلك الأشجار للجلوس تحت ظلالها خلال النهار ولتناول الشاي ولعب الاطفال فيما يعيد للأذهان استخدام المساطب أمام الدور (توقور) بقرية اشكيت، كما قام الأهالي بزراعة أشجار النخيل في موطنهم الجديد لكن بأعداد قيلة إذ لا يرجى من ورائها عائد مادي في ظل البيئة المطيرة هناك، لكن يستخدم الأهالي سعف تلك النخلات في بعض طقوسهم أو في تشييد المظلات المؤقتة باسلوبهم التقليدي المتوارث، الصور التالية توضح استخدام

ظلال الاشجار للجلوس من قبل النساء والاطفال بالقرية 12 كما تظهر استخدام سعف النخيل لتشييد المظلات المؤقتة.

صورة رقم (3.4.7)

(ا) تظهر استخدام الاشجار في الشارع من قبل النساء والاطفال بالقرية 12 خلال النهار للجلوس واللعب وشرب الشاي.

بينما توضح الصورة (ب) استخدام سعف النخيل لتشييد مظلات مؤقتة في الشوارع خاصة امام الدكاكين.

المصدر: الباحثة.

- **تغيير واجهات المنازل:** أول ما حرص المهجرون على تغييره في بيئتهم الجديدة كان أبواب المنازل (المقابلات) وذلك يشير إلى رسوخ أهمية البوابة كمعبّر عن الهوية لدى مجتمع الدراسة، ومن خلال البحث الميداني لم يجد الباحث أي باب من أبواب منازل القرية محتفظاً بنفس صورته منذ التهجير، فحتى القلة القليلة من المنازل التي احتفظ أصحابها بتلك الأبواب حرصوا على تغيير ألوانها، كما عمل الأهالي على تغيير ألوان الأسوار (والتي كانت مطلية عند التهجير باللون الأبيض) والصورة في الأعلى (أ) توضح ذلك.

ويمكن إجمال الإختلافات بين تصميم القرية 12 وقرية اشكيت مع ربط ذلك بثقافة السكان وفقاً للجدول التالي:

جدول رقم (3.4.1): يوضح الاختلافات الرئيسية بين تصميم قرية اشكيت وتصميم القرية 12. المصدر: الباحثة

وجه المقارنة	قرية اشكيت	القرية 12 إبّان التهجير	التأثير على اسلوب الحياة
شكل المخطط	ممتد طوياً	مخطط على مساحة مربعة	- تغير عادات المعايدات.
تدرج الشوارع	شوارع متدرجة الأبعاد مع طريق رئيسي واحد.	شوارع متساوية في عرضها ولا ميزة للشارع الرابط بين القرية والقرى الأخرى أو المدينة.	- تدني الخصوصية. - تدني الشعور بالأمان.
شكل ال blocks	تتكون من 4 منازل كحد أقصى. شكل الblocks بفناء وسطي.	تتكون من 10 منازل. شكل ال blocks بأفنية طرفية.	- **كثرة المنازل في الوحدة الواحدة قلل من التواصل بين االسكان.** - **تدني الخصوصية وتدني الشعور بالأمان لغياب الفناء الوسطي.**
المنطقة الخدمية	تقع جنوب القرية.	تقع وسط القرية.	- سهولة الوصول للخدمات.
موقع المزارع بالنسبة للقرية	تقع غرب القرية باتجاه النهر.	تحيط بالقرية من جميع النواحي.	- باتت اكثر بعداً عن المساكن وعن الطرق الرئيسية فصارت أقل أمناً.
أماكن التجمعات العامة	تنتشر في القرية بيوت الضيافة بالإضافة للمساطب أمام الدور.	القرية خالية تماماً من أماكن اللقاءات العامة.	- قل التواصل الإجتماعي.

3.4.1.2.2 تغيرات وإضافات في المساكن:

ولمقارنة أنماط المساكن في قرية اشكيت بالتصميم الموحد لمنازل القرية 12 مع رصد التغييرات التي أحدثها السكان على منازلهم تلك في محاولتهم تقليل الفجوة بين أسلوب حياتهم المعتاد ومساكنهم الجديدة؛ قام الباحث بتتبع أربعة منازل ومقارنتها بمنازل ذات الملاك في قرية اشكيت والخارطة التالية توضح مواقع المنازل المختارة في القرية 12:

شكل رقم (3.4.4): صورة جوية توضح مواقع المنازل المختارة للدراسة في القرية 12- المصدر: خرائط قوقل، تعديل الباحثة.

1. منزل أسرة جمال محمد صالح:

المنزل في اشكيت: تبلغ مساحة المنزل في قرية اشكيت حوالي 800 متر2 مقسمة لجزئين جزء خاص لسكن الاسرة مكون من 3غرف مع مندرة للضيوف وديواني وبرندة ومطبخ ومخزن وجزء آخر مخصص لتربية البهائم، والخارطة التالية توضح المسقط الأفقي للمنزل في قرية اشكيت:

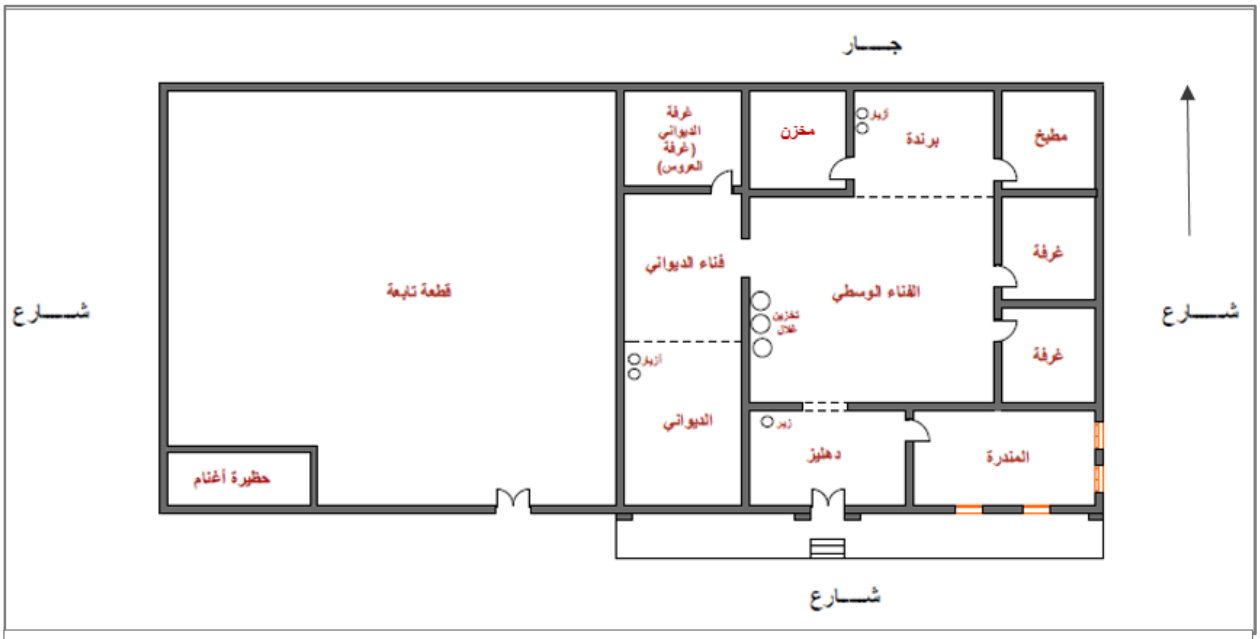

شكل رقم (3.4.5): يوضح المسقط الأفقي لمنزل أسرة جمال محمد بقرية اشكيت - المصدر: الباحثة.

وتظهر في الخارطة أعلاة عناصر المنزل النوبي شمال الشلال الثاني حيث نجد والديواني المخصص لمناسبات الزواج، كما نجد فيه (التوقور) أمام واجهة الدار (مسطبة طينية بارفاع حوالي 80 سم) الرئيسية والفناء الوسطي والبوابة، مع وجود فراغين للتخزين حيث تخزن الغلال في الفناء داخل آنية كبيرة من الطين بينما تخزن مؤونة الطعام في الغرفة المقابلة للمطبخ.

مخطط المنزل بعد التهجير: كان كغيره من منازل القرية مطابقاً للمسقط رقم (3.3.2)، أما التغييرات التي أحدثها سكان المنزل عليه فهي كالتالي:

- إضافة حظيرة للأغنام في الجزء الجنوبي من المنزل.
- إضافة حمام في الركن الجنوبي الشرقي من المنزل.
- تغيير استخدام الصالون لغرفة.
- إغلاق الباب الواصل بين الصالون والغرفة الشمالية.
- تغيير البوابة الرئيسية.
- تغيير طلاء المنزل الخارجي.
- إضافة بوابة مخصصة للسيارة.
- إضافة برندة في الفناء الأمامي للمنزل بمواد شبه ثابتة.
- إضافة مطبخ+ مخزن في الفناء الخلفي.
- إضافة مظلتين إحداهما مغلقة والأخرى مفتوحة في الفناء الجنوبي.

ويمكن تتبع التغييرات المذكورة أعلاه من خلال مسقط المنزل الحالي ومن خلال الصور أدناه:

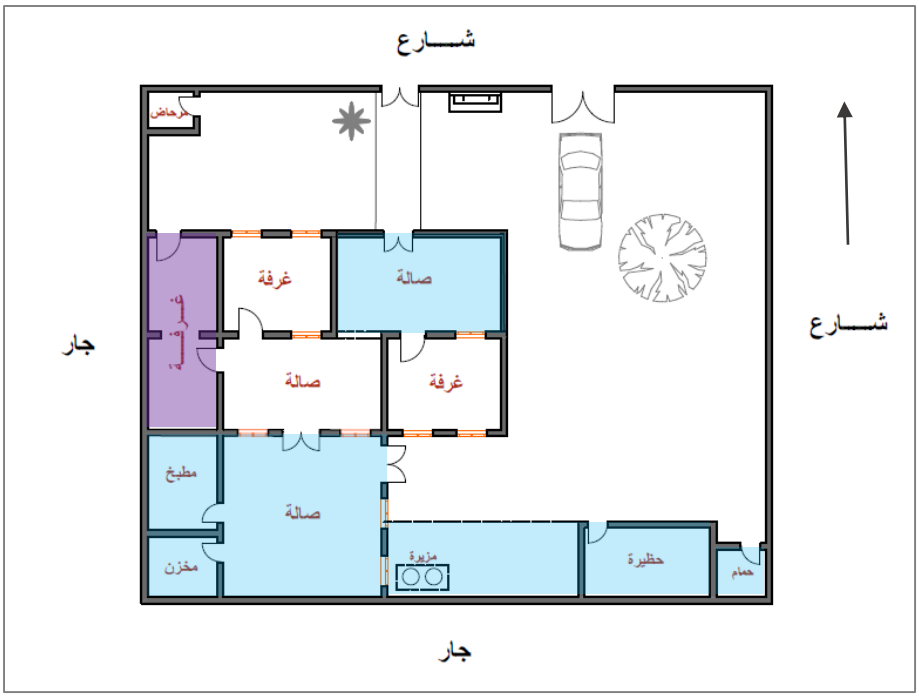

شكل رقم (3.4.6): يوضح المسقط الأفقي الحالي لمنزل أسرة جمال محمد بالقرية 12- المصدر: الباحثة.

فراغات تمت إضافتها للتصميم الأساسي.

فراغات تم تغيير استخدامها.

صورة رقم (3.4.8): توضح صور متفرقة من منزل أسرة جمال محمد – المصدر: الباحثة.

2. منزل أسرة الأستاذ ماهر إبراهيم الشيخ:

المنزل باشكيت: تبلغ مساحته حوالي 400 متر2 ويتكون من 4 غرف مع مطبخ والغرفة جنوب المطبخ مباشرة كانت تستخدم للتخزين مع وجود مندرة وديواني وبرندة.

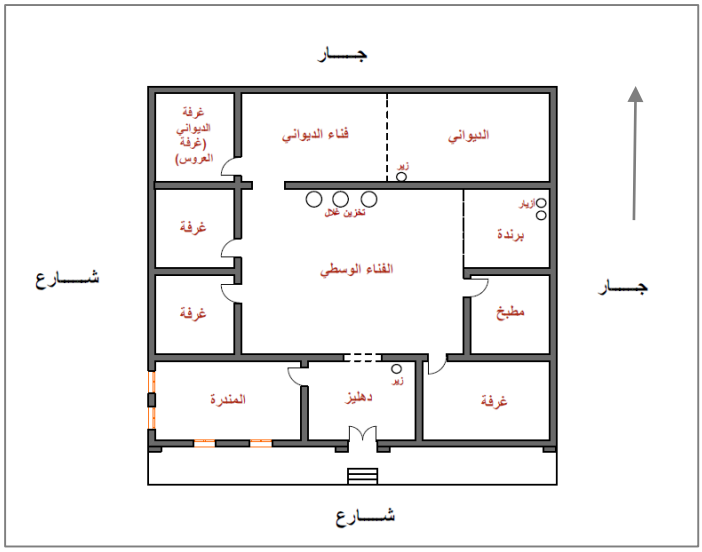

شكل رقم (3.4.7) يوضح المسقط الأفقي لمنزل أسرة الأستاذ ماهر ابراهيم الشيخ بقرية اشكيت - المصدر: الباحثة.

مخطط المنزل بعد التهجير: كان المنزل كغيره من منازل القرية مطابقاً للمسقط رقم (3.3.2)، لكن أحدث سكانه التغييرات والإضافات التالية عليه:

- إضافة حمام في الركن الجنوبي الشرقي من المنزل.
- تغيير بوابة المنزل مع عمل زخارف على جانبيها.
- تغيير طلاء المنزل.
- إغلاق باب الصالون الخارجي.
- إغلاق الباب الرابط بين الصالون والغرفة الجنوبية.
- إضافة صالة جنوبية مواجهة لمدخل المنزل بمواد ثابتة.
- إضافة صالة في الفناء الشمالي من المنزل.
- إضافة مطبخ في الركن الشمالي الغربي من المنزل.
- إضافة حظيرة في الركن الشمالي الشرقي.

شكل رقم (3.4.8): يوضح المسقط الأفقي الحالي لمنزل الاستاذ ماهر 12- المصدر: الباحثة.

فراغات تمت إضافتها للتصميم الأساسي.

فراغات تم تغيير استخدامها.

والصورة التالية توضح الزخرفة على جانبي البوابة:

صورة رقم (3.4.9): توضح بوابة منزل أسرة الأستاذ ماهر إبراهيم الرئيسية– المصدر: الباحثة.

3. منزل أسرة محي الدين محمد أحمد:

المنزل بقرية اشكيت: كان المنزل بقرية اشكيت بمساحة حوالي 1000 متر2 مقسم لجزئين، أحدهما جنوبي مخصص للماشية والآخر شمالي لأفراد الأسرة مكون من عدد 7 غرف مع مخزن ومطبخ ومرحاض (من المنازل النادرة التي تحتوي على مرحاض)، بالإضافة لمندرة وديواني، مع وجود فناء وسطي ومسطبة خارجية.

شكل رقم (3.4.9): يوضح مسقط أفقي لمنزل أسرة محي الدين محمد بقرية اشكيت – المصدر: الباحثة.

مخطط المنزل بعد التهجير: تم تعويض الأسرة عن منزلها بمنزلٍ ذو مسقطٍ مطابقٍ للمسقط رقم (3.3.2) لكنها أحدثت فيه التغيرات والإضافات المذكورة أدناه:

- تم تغيير طلاء المنزل.
- تم تغيير نوافذ الغرف.
- أضيفت زخارف أعلى السور.
- أضيفت صالة جنوبية مقابلة لمدخل المنزل بمواد شبه ثابتة.
- تم اغلاق باب الصالون الخارجي وإغلاق الباب الرابط بينه وبين الغرفة الجنوبية.
- تم تغيير البوابة مع إضافة زخارف نوبية على جانبيها (الهلال والنجمة).
- تم إضافة حمام ملاصق للمرحاض.
- تم إضافة حظيرة في الركن الشمالي الشرقي من المنزل.
- تم إضافة مطبخ في الركن الشمالي الغربي.
- أُضيفت صالة في الفناء الشمالي.

والخارطة التالية توضح التغييرات المذكورة أعلاه:

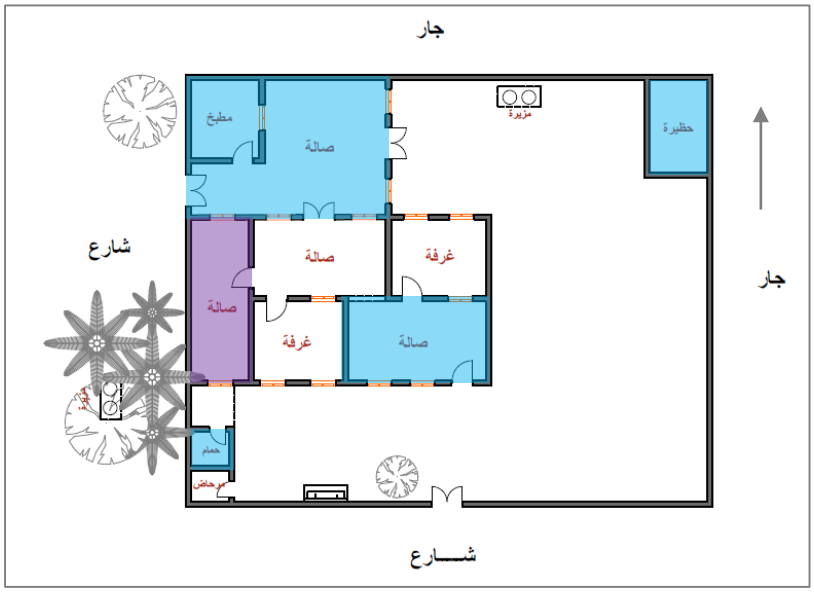

شكل رقم (3.4.10): يوضح مسقط منزل أسرة محي الدين محمد الحالي– المصدر: الباحثة.

فراغات تمت إضافتها للتصميم الأساسي.

فراغات تم تغيير استخدامها.

صورة رقم (3.4.10): توضح مناظير مختلفة من منزل السيد محي الدين محمد. المصدر: الباحثة

4. منزل أسرة فوزي صادق محمد محمد رمضان:

المنزل بقرية اشكيت: تبلغ مساحة المنزل بقرية اشكيت حوالي 400 متر2 مكون من عدد 3 غرف مع برندة ومندرة وديواني ومطبخ ومخزن بالإضافة للفناء الوسطي ومسطبة أمام المنزل.

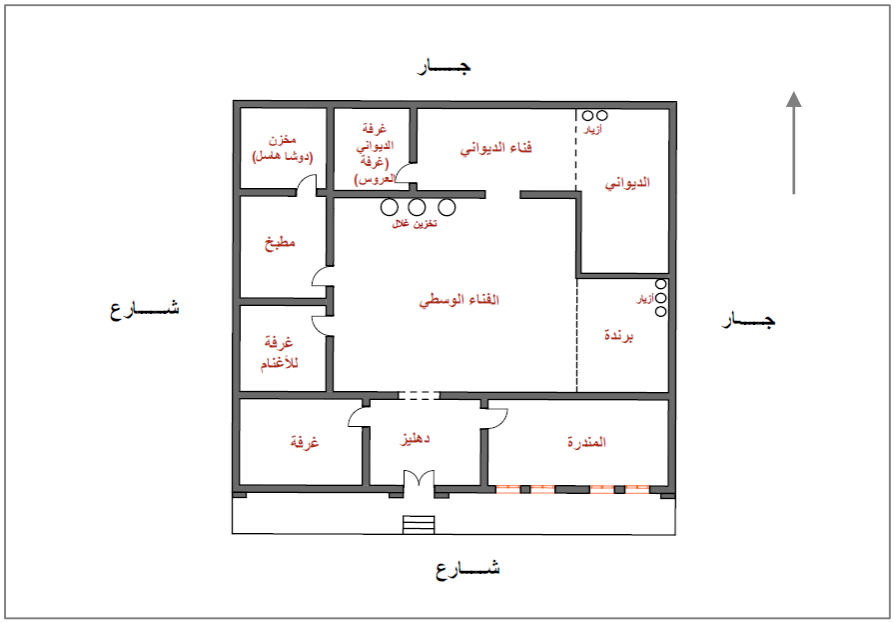

شكل رقم (3.4.11): يوضح مسقط منزل أسرة صادق محمد بقرية اشكيت – المصدر: الباحثة.

مخطط المنزل بعد التهجير: تم تعويض الأسرة عن منزلها بمنزلٍ مطابقٍ للمسقط رقم (3.3.2) لكن قامت الاسرة بإحداث التغيرات والإضافات المذكورة أدناه:

- تم إضافة صالة بمواد ثابتة في الفناء الشمالي من المبنى.
- تم إضافة حمام ملاصق للسور الشمالي من المنزل.
- تم إضافة مطبخ ومخزن في الفناء الجنوبي من المنزل.
- تم تغيير استخدام الصالون لغرفتين.
- إغلاق الباب الرابط بين الصالون والغرفة الشمالية.
- تم إضافة صالتين في الفناء الجنوبي إحداهما مغلقة والأخرى مفتوحة.
- تم إضافة حظيرة للحيوانات في الركن الجنوبي الشرقي من المنزل.
- تم تغيير البوابة الرئيسية للمنزل.
- تم طلاء الجدران الداخلية والخارجية.
- تم تغيير نوافذ الغرف.

الخارطة التالية توضح الإضافات والتغييرات المذكورة أعلاه:

شكل رقم (3.4.12): يوضح مسقط منزل أسرة صادق محمد الحالي بالقرية 12- المصدر: الباحثة.

فراغات تمت إضافتها.

فراغات تم تغيير استخدامها.

الصورة في الأسفل توضح بوابة المنزل مع الزخارف النوبية البسيطة أعلاه والصورة على اليسار توضح فناء المنزل مع النوافذ الجديدة للغرف.

صورة رقم (3.4.11): توضح مناظير مختلفة من منزل السيد فوزي صادق. المصدر: الباحثة

3.4.2 أسلوب حياة السكان الحالي:

لم يعد غالبية الأهالي سواء النساء أو الرجال يمارسون الزراعة بأنفسهم بل يتم تأجير العمال للقيام بأعمال الزراعة (غالباً من ساكني العشوائيات المحيطة بالقرية) مقابل مبالغ مالية معينة بينما امتهن الأهالي الوظائف المكتبية المختلفة وساعد على ذلك قرب القرية النسبي من المدينة.

كما تغيرت حياة النساء النوبيات في بيئتهن الجديدة إذ بات لديهن وقت فراغ كبير، بسبب اندثار اعمال السعف التي كان عمادها أشجار النخيل والتي لم تعد موجودة في البيئة الجديدة، ووجود امدادت المياه قرب المنازل فلم يعدن ملزمات بقطع المسافات الطويلة إلى النهر لجلب الماء، كما لم يعدن يعملن في الزراعة كما كن في النوبة القديمة.

يعاني السكان وبشدة من السرقات المتكررة التي لم يألفوها في موطنهم السابق وقد اثر ذلك على أسلوب حياتهم فلم يعد بالامكان ترك أبواب الدور مفتوحة، وباتت ممارسة الأطفال للعب خارجاً بها نوع من المخاطرة، وقد لفت انتباه الباحث أن البعض قد لجأ لوضع قطع من الزجاج المكسور أعلى سور داره حماية له من السطو (انظر الصورة رقم 3.4.12).

أما في المناسبات المختلفة مثل الأعياد فلا يزال أهالي القرية 12 حريصون على التمسك بعاداتهم وإن كانوا فقدوا جزءاً كبيراً منها لارتباطه بالنهر والنخيل.

لا يزال الأهالي يحافظون على تناول وجبة الفطور في أيام الأعياد بصورة جماعية الرجال في المظلات الموزعة بميادين القرية بينما تجتمع النساء في إحدى البيوت.

كما لا يزال الأهالي يحافظون على الطواف السابق لصلاة العيد مع انشاد المدائح وحمل الأعلام الخضر، ولا يزالون يصلون صلاة العيد في الهواء الطلق ويصطفون في صفوف شديدة الطول قليلة العدد(انظر الصورة رقم 3.4.13).

تغير أسلوب المعايدات بسبب تغير شكل المخطط الخاص بالقرية فلم يعد الطواف على المنازل من خلال مسار واحد مستقيم ممكناً انظر النقطة الأولى من التحديات المرتبطة بتصميم القرية ص 86.

أما عادات زيارة البحر للعرسان الجدد وللمواليد عند بلوغهم يومهم الأربعين وفي يوم عاشوراء فقد اندثرت، إلا أن القليل من الأهالي استبدل نهر النيل بالترعة محافظاً على تلك الطقوس رغم التلوث الموجود بمياه الترعة خاصة في ظل السكن العشوائي المنتشر حول القرية (المقابلات).

لا يزال يوم عاشوراء من الأيام المميزة إذ تعِد فيه ربّات الأسر وجبات خاصة ويحرصون على تناولها سوياً (المقابلات).

وقد وجد الباحث من خلال المقابلات أن الجيل الجديد بدأ في التخلي عن التحدث باللغة النوبية، كما أنه أقل تمسكاً بالعادات الموروثة.

صورة رقم 3.4.12: توضح محاولة حماية المنزل من السطو عبر وضع قطع من الزجاج المكسور أعلى السور. المصدر: الباحثة منزل أسرة العم محمد عبدو بالقرية 12

صورة رقم 3.4.13: توضح صلاة العيد بالقرية 12 (الجانب الأيمن من الصورة) كما يظهر في جانبها الأيسر طواف موكب المديح على منازل القرية ما قبل الصلاة برفقة الأعلام الخضر.- المصدر: صفحة شباب القرية 12 على الفيسبوك.

3.4.3 مقارنة عوامل رابوبورت الثقافية الخمس بين تصميم القرية 12 وتصميم قرية اشكيت:

أثبتنا من خلال الجدول رقم 3.2.2 والذي رصدنا فيه الأختلافات بين تصميم القرية 12 إبّان التهجير وبين تصميم قرية اشكيت أن تصميم القرية 12 أدى إلى:

- قلت الخصوصية بسبب عدم تدرج أبعاد الشوارع في تصميم القرية 12 ولعدم اعتماد الأفنية الوسطية في تصميم أشكال الblocks.
- قل التواصل الاجتماعي بسبب عدم توفير أي أماكن عامة للتواصل في تصميم القرية 12.
- تغير وضع النساء بسبب بعد المزارع عن المساكن إذ صار من الخطورة ذهابهن إلى المزارع لبعدها، كما ان غياب النخيل والنهر إدى لاندثار مجموعة كبيرة من المهام التي كانت تقوم بها النساء مثل أعمال السعف والذهاب للنهر لجلب الماء.
- تغير تكوين الأسرة إذ مُنحت كل أسرة نووية منزلاً منفصلاً عند التعويض (انظر 3.2.6.1 تكوين العائلة).

أما العامل الخامس وهو الإحتياجات الأساسية فيصعب تتبعه على مستوى القرية.

3.4.4 مقارنة عوامل رابوبورت الثقافية الخمس بين تصميم منازل القرية 12 إبّان التهجير وتصميمها في اشكيت:

- فيما يتعلق بالاحتياجات الأساسية نجد أن عدم تخصيص فراغ في منازل التوطين ليمثل المطبخ شكل تحدي كبير للسكان حيث اضطر غالبيتهم إلى الاستغناء عن الصالون واستخدامه للتخزين والطبخ لحين توفر المال اللازم لتشييد المطبخ، وفي المقابل فإن توفير مرحاض لكل منزل سد حوجة أساسة ملحة لدى السكان.
- تغير تكوين الأسرة بفقدان الديواني الذي كان يخصص للأسر حديثة التكوين والتي كانت تعيش فيه لفترات معينة لحيين تشييدها لمنزلها المنفصل.
- قل التواصل الاجتماعي إذ سارعت غالبية الأسر إلى تحويل الصالون لمطبخ فلم تعد تلك الأسر تمتلك مكاناً مخصصا لاستقبال الضيوف ناهيك عن أن يكون مزخرف ومزين كما في النوبة القديمة.

- قلت الخصوصية بفقدان الأفنية الوسطية التي كانت تحجب اصوات أهل المنزل عن المنازل المجاورة، كما قلت الخصوصية بسبب التشابه التام بين المساكن مما تسبب في العديد من الأحيان لاقتحام الاهالي لمنازل غيرهم عن طريق الخطأ.
- تغير وضع النساء في التصميم الجديد ففي منازل اشكيت كان للمرأة قسم خاص من المنزل يتكون من المطبخ والبرندة والمخزن والفناء الوسطي، أما في تصميم منازل القرية 12 فإننا لا نرى أياً من تلك الفراغات.

جدول رقم (3.4.2) يوضح مقارنة عوامل رابوبورت الثقافية الخمس بين تصميم المنازل المختارة للدراسة في القرية 12 إبّان التهجير وتصميمها في اشكيت. المصدر: إعداد الباحثة.

وجه المقارنة	منازل قرية اشكيت	منازل القرية 12
وضع المرأة	- للمراة قسم من المنزل خاص بها متمثل في المطبخ مع البرندة والفناء الوسطي، كما أن الغرفة الملحقة بالديواني تعتبر خاصة بالعروس.	- ليس للمرأة قسم خاص بها.
التواصل الإجتماعي	- لا يخلو منزل من المنازل المختارة للدراسة من وجود المندررة المخصصة لاستقبال الصيوف كما لا يخلو منزل من وجود الديواني الخاص بضيوف العرس.	- لم يتم تشييد فراغ مخصص لاستقبال الضيوف خلافاً للتصميم المتفق عليه.
الاحتياجات الأساسية	- المطبخ مع المخزن الملحق به يعتبر فراغ أساسي في جميع عينات المنازل المختارة. - عدم وجود مراحيض داخل المنازل كان يمثل مشكلة لدى السكان.	- لم يتم تشييد مطبخ مما اضطر السكان لتحويل الصالون لمطبخ مع مخزن في أغلب الحالات. - وجود مرحاض في كل منزل سد حوجة أساسية مهمة لدى السكان وقلل المعاناة.
الخصوصية	- وفرت تصميمات المنازل المختارة في اشكيت الخصوصية لسكانها عبر وجود الفناء الوسطي، وخلو المنازل من النوافذ الخارجية المطلة على الشارع ومن خلال وجود موزع يفصل حركة الضيوف من وإلى الديواني عن أفراد المنزل.	- المنازل في القرية 12 أقل مراعاة لخصوصية أفراد المنزل، إذ لم تخصص في تلك المنازل فراغات لاستقبال الضيوف كما استبدلت الأفنية الوسطية بالفناء المحيط، وتشابهت المنازل تشابها تاماً. - وجود فنائين في كل منزل أتاح قدراً من الخصوصية للنساء.
تكوين الأسرة	- وجود الديواني بملحقاته يدعم تكوين الأسر الممتدة إذ يعتبر منزلاً داخل المنزل مع وجود مطبخ مشترك.	عدم وجود الديواني مع قلة الغرف في المنازل عموما (غرفتين فقط) لم يدعم تكوين الأسر الممتدة.

3.5 خلاصة الفصل:

قمنا في هذا الفصل بدراسة البيئة العمرانية لقرية اشكيت وللقرية 12، كما استعرضنا تصميمات لمنازل أربعة أسر في كلا الموطنين، وتم رصد تفاعل المجتمع والسكان مع بيئتهم الجديدة، وقد تبين أن تفاعل السكان المهجّرين من قرية اشكيت مع بيئتهم العمرانية الجديدة بالقرية 12 أدى لتغيرات ثقافية عديدة لدى السكان إذ تخلوا عن العديد من عاداتهم الموروثة لاستحالة ممارستها في ظل البيئة الجديدة خاصة العادات المرتبطة بنهر النيل، كما عمل الأهالي على إحداث تغييرات في بيئتهم العمرانية المخططة لتصبح أكثر ملائمة لاسلوب حياتهم المعتاد؛ وذلك من خلال إضافة برندات لاستقبال الضيوف الرجال كبديل عن المندرة و إقامة مظلات في ساحات القرية كبديل عن بيوت الضيافة وزراعة الأشجار الظليلة أمام الدور للتعويض عن المساطب الطينية وغيرها مما تم استعراضه سابقاً.

الفصل الرابع: النتائج والتحليل والنقاش

حاولت الدراسة فهم العلاقة التبادلية بين ثقافة المجتمعات وبيئاتها العمرانية، ولفهم طبيعة تلك العلاقة حرص الباحث على تحديد تعريفات دقيقة لمصطلحي البيئة العمرانية والثقافة، إذ وجد الباحث أن للمصطلحين المذكورين العديد من التعريفات، وعليه فلا يمكن المضي قدماً في الدراسة ما لم يتم تحديد تعريف معين يخدم الأغراض العلمية للبحث، وقد حدد الباحث أن المقصود بالبيئة العمرانية في دراسته الكتل والفضاءات الحضرية والعلاقات التي تربط بينها والتي يتم تكوينها لإشباع الإحتياجات الانسانية المختلفة. بينما يُقصد بالثقافة أسلوب الحياة المتبع لمجموعة من الأفراد.

بعد تحديد مفاهيم المصطلحات المرتبطة بالبحث حاول الباحث استعراض النظريات التي تناولت العلاقة بين المفهومين، ووجد الباحث أن نظرية الثبات والتغير لرابوبورت هي الأكثر ملائمة لدراسته، فرغم أن النظرية في أساسها تقوم على أن ثبات العنصر عبر الزمن يشير لارتباطه بالنواة الثقافية للمجتمع، إلا أن الباحث قام في دراسته الميدانية برصد العناصر العمرانية التي تم تغييرها بدلاً عن العناصر الأكثر ثباتاً عبر الزمن كما ذكر رابوبورت، وذلك لسبب رئيسي هو أن الدراسة تمت على بيئة عمرانية مخططة وليست تقليدية. فهنا يكون علينا تتبع ردود فعل المستخدمين إزاء بيئتهم وليس العكس لتحديد خلفياتهم الثقافية، فمن خلال رصد التغييرات التي يحدثها مجتمع ما لدى استيطانه بيئة عمرانية مخططة، وتحليل الدوافع وراء إحداثها يمكننا تحديد النواة الثقافية لذلك المجتمع.

وقد حاول الباحث من خلال العمل الميداني بالقرية 12 رصد التغييرات التي أحدثها السكان على قريتهم ومنازلهم بعد التهجير، فشيوع تغيير بعينه في المنازل قيد الدراسة أو في تصميم القرية ككل؛ يشير لارتباط هذا التغيير بعنصر ثقافي أصيل لدي المجتمع المهجّر، حاول تدعيمه من خلال إحداث تلك التغييرات في بيئته العمرانية.

والجدول التالي يشير للعوامل الثقافية التي دفعت السكان لإحداث تغييرات بعينها في بيئتهم الجديدة:

جدول رقم 4.1 : الدوافع الثقافية للتغييرات المحدثة فى البيئة الجديدة (القرية 12)- المصدر: الباحثة.

الإضافات والتغييرات في تصميم القرية	**الدوافع الثقافية للتغيير**	**الإضافات في المنازل (التغييرات المتماثلة في جميع الحالات الدراسية)**	**الدوافع الثقافية للتغيير**
انشاء مظلات في ساحات القرية	تعزيز التواصل الاجتماعي.	إضافة برندة في الفناء الأمامي لاستقبال الضيوف من الرجال.	تعزيز التواصل الأجتماعي وعزل النساء.
انشاء نادي	تعزيز التواصل الاجتماعي والشعور بالانتماء.	إضافة برندة في الفناء الخلفي لاستقبال الضيفات من النساء.	تعزيز التواصل الاجتماعي وعزل النساء.
زراعة الاشجار	تعزيز التواصل الاجتماعي.	تشييد مطبخ في الفناء الخلفي للمنزل.	احترام لخصوصية نساء الدار.
تغيير واجهات المساكن	دعم الهوية المميزة لسكان المنزل.	تغيير بوابة المنزل الرئيسية.	دعم الهوية المميزة للأسرة.

- من الجدول أعلاه يتبين لنا أن جميع التغييرات التي أحدثها المستخدمون سواء على مستوى القرية أو على مستوى المساكن كان استجابة لدوافع ثقافية تتطابق مع العوامل الثقافية الخمسة المقترحة من قبل رابوبورت، وفي مقدمتها التواصل الأجتماعي والخصوصية وعزل النساء، كما أن تعزيز الهوية الفردية من خلال تصميم المنزل كان من الدوافع المهمة التي ساهمت في التغييرات المنفذة.
- وعند تتبع الباحث للصور الجوية للقرية واستعانته بالمقابلات، وجد أن إضافات بعينها (مثل البرندة المقابلة للمدخل والمخصصة لاستقبال الضيوف الرجال والمطبخ في الفناء الخلفي مع برندة حوله) هي إضافات مُجمع عليها في منازل القرية.

بناء على النقطتين أعلاه واستناداً على نظرية الثبات والتغير لرابوبرت يمكننا القول أن التواصل الاجتماعي والخصوصية وعزل النساء هي عناصر ثقافية نووية لدى مجتمع اشكيت المُهجر لم يدعمها تصميم منازل التوطين، وعليه فإن فرضية البحث القائلة أن التصميم العمراني للقرية 12 لم يدعم العناصر الثقافية الأساسية للمجتمع المهجّر من قرية اشكيت هي فرضية صحيحة.

- **كما توصل الباحث من خلال العمل الميداني إلى أن** العديد من المنازل (أربعة منازل من أصل ست زارها الباحث خلال عمله الميداني) شهدت محاولات لإعادة الزخارف لكنها قليلة وفقيرة مقارنة مع الزخارف في قرية اشكيت، والجدول التالي يوضح نماذج من محاولات إحياء الزخارف القديمة التي رصدها الباحث:

جدول رقم 4.2: محاولات إحياء الزخارف القديمة في البيئة الجديدة- المصدر: الباحثة.

الأماكن التي رُصدت فيها الزخارف بالقرية 12	صورة الزخارف حالياً بالقرية 12 من تصوير الباحثة.	نموذج من الشكل الأساسي للزخرفة بقرى حلفا قبل الغرق نقلاً عن (وينزل، 2007)	مواد الزخرفة المستخدمة قبل التهجير	مواد الزخرفة المستخدمة حالياً بالقرية 12
النوافذ الخارجية بمنزل محمد عبدو		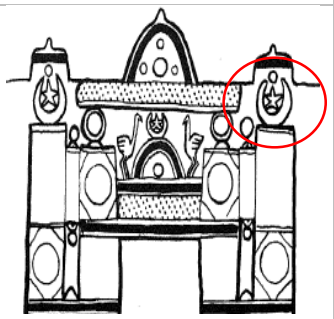	الصورة لبوابة في قرية اشكيت والزخرفة المعنية هي زخارف طينية بارزة.	تم تنفيذها على النوافذ باستخدام الحديد، مع تغيير موضع الزخرفة للنوافذ بدلاً عن البوابة.
بوابة منزل محي الدين (بابا)		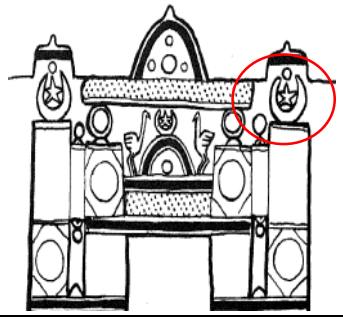	الصورة لبوابة في قرية اشكيت والزخرفة المعنية هي زخارف طينية بارزة.	تم تنفيذها باستخدام الطلاء، في نفس المكان القديم أعلى أكتاف البوابة.

		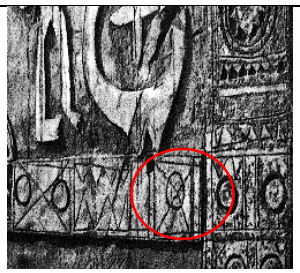	زخارف طينية بارزة في حائط داخلي لديواني.	زخرفة على البوابة باستخدام مونة اسمنتية
بوابة منزل فوزي صادق		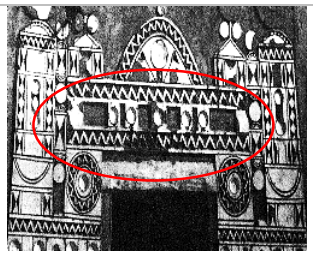	زخارف طينية بارزة على بوابة باشكيت	**الزخرفة هنا صنعت من الحديد في نفس موضع الزخرفة قديماً.**
بوابة منزل ماهر الشيخ		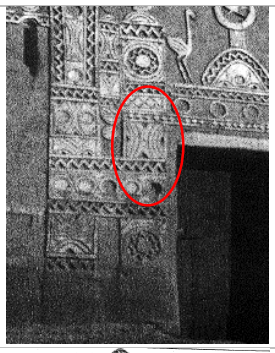	زخارف طينية بارزة على بوابة باشكيت.	**زخارف بارزة باستخدام المونة الاسمنتية في نفس موضع الزخارف القديمة.**
خلفية المسرح بنادي القرية 12			**بوابة بزخارف طينية بارزة بأحد منازل اشكيت من اعمال حسن عرابي.**	**تصوير بالطلاء الزيتي لبوابة نوبية من أعمال ابن الفنان حسن عرابي (محي الدين).**

- ومن الجدول أعلاه يمكننا أن نستنتج أن البوابة الرئيسية للمنزل لا تزال تحظى بمكانة في نفس النوبي ويدل على ذلك أنها اول ما تم تغييره في المنازل بعد التهجير (المقابلات)، كما أن الإهتمام بزخارفها لا يزال شائعاً حتى الآن، وربما تشير محاولات إعادة إحياء تلك الزخارف إلى رغبة المجتمع في تعزيز هوية بدأت بالتلاشي، أو ربما يمكن اعتبارها مجرد تعبير عن حنين لبيئة عمرانية مفقودة.

وقد ذكرنا خلال دراسة الحالة جملة من النتائج يمكن تلخيصها فيما يلي:

- أن اختلاف البيئة الطبيعة (غياب النخيل ونهر النيل) أدى لاندثار العديد من العادات والطقوسوغير من وضع النساء على وجه الخصوص إذ صار لديهن مزيد من أوقات الفراغ، كما ان اختفاء الفناء الوسطي وال blocks التي تتكون من خمسة منازل متلاصقة بدلا عن اثنين كما كانت في اشكيت قلل من خصوصية المنزل فما يقال في فناء أحد الدور يصل إلى مسامع الجيران.
- ومن خلال المقابلات وجد الباحث أن تشابه تصميمات المنازل قتل احساس الفرد بهويته فعاش جميع المهجرين فترة من الذهول امتدت لعدة عقود، وساهمت مع تأزم الوضع الاقتصادي إبّان التهجير في ظهور العديد من المشاكل الاجتماعية المعقدة التي عاشها المجتمع المهجر، كما أن اختفاء بيوت الضيافة في الموطن الجديد والتي كانت تقام في الغالب قرب منازل المشايخ أدى لتقليص دور المشايخ وتقليل سلطاتهم مما سبب نوع من الفوضى في المجتمع المهجر خاصة في الفترة الأولى عقب التهجير، وللتوسع في ذلك يمكن الرجوع إلى (أبو القاسم،2000).
- كما استنتج الباحث من خلال الدراسة الميدانية إن المزيرة لا تزال تتمتع بمكانة مميزة في المجتمع النوبي، فلم يخلُ منزل من المنازل التي زارها الباحث من المزيرة التقليدية (راجع المساقط المرفقة للمنازل الأربعة).
- لم توفر تصاميم منازل إعادة التوطين القدر الكافي من المتطلبات الفراغية سواء على مستوى المسكن (عدم وجود المطبخ كمثال) أو على مستوى القرية لعدم توفير تصميم القرية لبيوت الضيافة.
- التصميم الذي نُفذ لاعادة التوطين لم يدعم العناصر الثقافية الأساسية لمجتمع الدراسة خاصة التواصل الأجتماعي والخصوصية وعزل النساء كما لم يراعي ثقافة المجتمع المتبعة في إعداد الطعام.
- الإضافات التي ألحقت بالقرية والمنازل (برندة الأستقبال مقابل مدخل المنزل + المظلات في ساحات القرية +المطبخ ..إلخ) دلت على أهمية عوامل التواصل الاجتماعي والخصوصية وعزل النساء لدى مجتمع الدراسة.
- الجيل الجديد من ساكني المنطقة أقل إلماماً باللغة النوبية وبالعادات والطقوس القديمة كما أنهم أقل تمسكاً بموطنهم الجديد (المقابلات).
- يعتبر تصميم منزل إعادة التوطين مرن نسبياً وذو مساحة ملائمة، إذ أتاح للسكان إجراء لعديد من التعديلات والإضافات على التصميم.

الفصل الخامس: خلاصة الدراسة وتوصياتها

5.1 خلاصة الدراسة:

خلصت الدراسة إلى أن الدوافع الثقافية أدت إلى إحداث تغييرات في البيئة المبنية بالقرية 12 وشملت تلك التغييرات البوابات الرئيسية كما شملت إضافة العديد من العناصر العمرانية على مستوى القرية مثل المظلات أو على مستوى المساكن مثل المطابخ والمخازن والبرندات والفراغات الخاصة بالحيوانات، أو العناصر المكملة مثل الزخارف والأشجار والالوان، كما ان المجتمع المُهجر أضطر إلى التخلي عن العديد من عاداته الموروثة لعدم توافقها مع البيئة الجديدة مثل عادات الزواج خاصة المرتبطة منها بالنيل أو الديواني.

ومن خلال تلك التغييرات التي تم إحداثها يمكننا أن نجادل استناداً على نظرية الثبات والتغير بأن التواصل الإجتماعي والخصوصية وعزل النساء هي عوامل ثقافية نووية لدى مجتمع القرية 12 المُهجر لم تدعمها تصاميم إعادة التوطين على مستوى القرية والمنازل بصورة ملائمة (راجع المنهجية المتبعة لدراسة الحالة ص 70).

5.2 توصيات الدراسة:

5.2.1 توصيات موجهة للعاملين في مجال العمران (المدرسين والباحثين والمصممين):

- اجراء المزيد من الأبحاث في مجال التصميم البيئي مع الاهتمام بتوثيق نتائج الدراسات المختلفة بهدف تكوين مادة علمية في مجال الدراسات البيئية تشكل أساساً لوضع المناهج في مجال العمارة والعمران.
- على المصممين الاستفاضة في دراسة ثقافة المجتمعات وتحديد عناصرها الثقافية النووية قبل الشروع في وضع التصاميم المعمارية والعمرانية لتلك المجتمعات.
- يجب الانتباه إلى أن بعض العناصر العمرانية تظل ثابتة رغم رغبة المجتمع في تغييرها بسبب عوامل إقتصادية أو خلافه حالت دون إحداث التغيير.
- يمكن اجراء دراسات مشابهة لذات المجتمع تركز على النواحي الاجتماعية وتستند على الاحصاءات المرصودة مثل معدلات الجرائم وسلوكيات الأفراد في البيئتين قبل وبعد التهجير؛ لتحديد الآثار الاجتماعية لتغير البيئة العمرانية على ذلك المجتمع.

5.2.2 توصيات للجهات الحكومية:

- في حال مشاريع إعادة التوطين فإنه يجب اجراء دراسات نفسية لتحديد نوع الروابط التي تربط السكان بموطنهم الأصلي على أن يؤخذ بتوصيات تلك الدراسات في اختيار موقع إعادة التوطين.
- اشراك المستخدمين في عملية وضع التصاميم وفي اختيار مواقع إعادة التوطين في حال المشاريع المشابهة.
- على الجهات الرسمية المعنية بدراسة العطاءات أن تجعل من مراعاة التصميم المقدم لعناصر المجتمع الثقافية النووية معياراً عالي الأهمية في المفاضلة بين التصاميم المقترحة لاعادة التوطين.
- معالجة مشكلة السكن العشوائي التي تؤرق سكان المنطقة وتنعكس سلباً على شعورهم بالأمان في موطنهم الجديد.
- دعم السكان مادياً بحيث يتاح لهم عمل التعديلات المطلوبة على مساكنهم لتصبح أكثر ملائمة من الناحية الثقافية أو الصحية كحد ادنى عبر إزالة أسقف الاسبستوس التي أثبتت العديد من الدراسات السابقة مخاطرها ولا تزال موجودة بمنازل القرية.
- رصف الطرق بالقرية إذ يعاني الاهالي من انقطاع السبل بهم في فصل الخريف.

5.2.3 توصيات لسكان المنطقة:

- توصي الدراسة الأهالي بمزيد من التواصل بين الأجيال بحيث تتعلم الأجيال الجديدة الناشئة في الموطن الجديد اللغة النوبية وتتبنى العناصر الثقافية النووية من الجيل السابق، كما يجب إقامة الفعاليات التي تنقل للأجيال الجديدة مزيد من المعارف عن موطن آبائهم وذلك تعزيزاً للهوية وتحقيقاً لرغبتهم في الشعور بالانتماء وتحقيق الذات (راجع هرم ماسلو للاحتياجات الإنسانية ص87).

المراجع:

الكتب والأبحاث والأوراق العلمية العربية:

- **إبراهيم، محمد إبراهيم جبر (2006)**، "العمارة بعد الثقافة .. رؤية جدلية لمستقبل الذات في حاضر الآخر". المؤتمر المعماري الدولي الأول، جامعة عين شمس، مصر، ورقة علمية.
- **أبو القاسم، فكري أحمد (2000)**، "حلفا الجديدة الخطيئة والقربان" مطبعة البريد الحديثة ، الخرطوم، السودان.
- **اسماعيل، أبكر آدم (2015)**، "جدلية المركز والهامش قراءة جديدة في دفاتر الصراع في السودان"، منظمة حقوق الإنسان والتنمية (HUDO).
- **أكبر، جميل عبد القادر (1992)**، "عمارة الأرض في الإسلام"، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، المملكة العربية السعودية.
- **أيوب، أيوب اسماعيل (2007)**، "حلفا تلاطم الأمواج وهطول المطر" الخرطوم، السودان.
- **بلقاسم، الديب (2009)**، " البيئة العمرانية الحديثة و المرض الإجتماعي في المدينة بالجزائر(دراسة حالة :مدينة باتنة)" بحث منشور بمجلة جامعة دمشق المجلد 25 العددين الاول و الثاني.
- **بيل، هيرمان (2009)**، "الفردوس المفقود"، ترجمة محمد جلال أحمد هاشم، مجموعة دال، السودان.
- **التركي، عاصم عبد الحميد محمد (2004)**، "أثر التحولات الثقافية المعاصرة على البيئة المبنية– دراسة على المناطق الريفية بدلتا مصر"، جامعة المنوفية، مصر، رسالة ماجستير.
- **الجبلاوي، كمال محمود كمال (2009)**، "موسوعة الأفكار الرمزية بالعمارة المصرية بعد دخول الإسلام"، بدون دار نشر.
- **دفع الله، حسن (2003)**، "هجرة النوبيين–قصة تهجير أهالي حلفا"، ترجمة عبد الله حميدة، دار مصحف إفريقيا، الخرطوم.

- **الزين، سليم (2017)**، "التشكيل الحضري"، محاضرات لطلاب الماجستير، جامعة السودان للعلوم والتكنلوجيا، السودان.
- **ستيتة، دلال ملحس (2010)**، "التغير الإجتماعي والثقافي"، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- **الشفيع، ريماز أحمد خلف الله (2017)**، "تأثير السكن العشوائي على سلوكيات الأفراد، دراسة حالة منطقة عشش فلاتة"، رسالة ماجستير بجامعة السودان للعلوم والتكنلوجيا، السودان.
- **ضيف الله، منيرة حمد النيل (2018)**، "سكان ومساكن"، ترجمة عثمان محمد الخير عثمان، المكتبة الوطنية، الخرطوم، السودان.
- **طه، رانيا محمد علي (2010)**، " التأثير المتبادل بين الواقع العمراني للمساكن والهوية الثقافية الاجتماعية للسكان حالة دراسية :البلدة القديمة بنابلس" كلية الهندسة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، رسالة ماجستير.
- **عوض، عبد الحليم (2017)**، "التحضر"، محاضرات لطلاب الماجستير، جامعة السودان للعلوم والتكنلوجيا، السودان.
- **عبد الستار، مديحة أحمد (2010)**، "الهوية كمدخل لاستدامة العمران في ضوء شراكة المجتمع"، جامعة المنصورة، مصر، رسالة ماجستير.
- **عبد الكافي، اسماعيل عبد الفتاح (2004)**، " معجم مصطلحات عصر العولمة"، دارالثقافة للنشر، مصر.
- **علاء، دينا (2013)**، "تهجير النوبة بين الرؤية والواقع"، مقال بمجلة مركز والي العدد رقم 6 الخاص بالهجرة والتوطين.
- **عيسى، حنا (2014)**، "الثقافة خصائصها مكوناتها وفوائدها"، مقال منشور بموقع دنيا الوطن على شبكة الانترنت.
- **فتحي، حسن (1969)**، "عمارة الفقراء"، ترجمة مصطفى إبراهيم فهمي، بدون دار نشر.
- **فرحات، باهر اسماعيل (1999)**، " العلاقة التبادلية بين السلوك الإنساني و البيئة المادية في الفراغات العمرانية "، جامعة عين شمس، مصر، رسالة ماجستير.

- **وينزل، ماريان (2007)**، "الزخارف النوبية"، ترجمة فؤاد محمد عكود، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر.

الكتب والأبحاث والأوراق العلمية الأجنبية:

- **Elsebae, Asmaa Abd-Elgawad (2015),** "Characterised of Nubian Architecture and Folk Art to Discover Creativity of the Designer" a research paper published in International Journal of Social Sciences Arts and Humanities Vol. 2 No. 4. 2015.
- **Firth, R. (1951),** "Elements of Social Organization", Watts, London.
- **Johansson, Carolyn (2014),** "Digital Reconstruction of the Archaeological Landscape in the Concession Area of the Scandinavian Joint Expedition to Sudanese Nubia (1961–1964)", A Magister thesis in Egyptology, Uppsala University, Sweden.
- **Kamel, Diana & Abdel-Hadi, Aleya (2012),** "Space color and quality of life in a Nubian environment" research paper published on Archnet-IJAR, International Journal of Architectural Research.
- **Lynch, Kevin (1960), "**the image of the city", The MIT Press, the United States of America.
- **Mahgoub, Yasser Osman Moharam (1990),** "The Nubian Experience: A study of the social and cultural meanings of architecture" A dissertation submitted in partial fulfillment of the requirements for the degree of Doctor of Architecture, The University of Michigan.
- **Rapoport, Amos & others (1980),** "Human Behavior and Environment, Volume 4 Environment and Culture". Published by Plenum Press, New York.
- **Rapoport, Amos (1969),** "House form and culture". Prentice-Hall Inc., London.
- **Rapoport, Amos (1989),"** Housing Culture and Design A comparative Perspective", university of Pennsylvania press, Philadelphia, the United States of America.
- **Rapoport, Amos (1990),**" The Meaning of the Built Environment," The University of Arizona, the United States of America.
- **Sevtsuk, A. (2012),**"How we shape our cities, and then they shape us", MAJA: the Estonian Architectural Review, 2-2012 (72), pp. 10-15, 2012.

- **Smith, Michael E. (2007),** "form and Meaning in the Earliest Cities: A New Approach to Ancient Urban Planning", Arizona State University.
- **The government of Hong Kong, Planning Department,** (2015), "Hong Kong planning standards, chapter 11 urban design guidelines", Hog Kong.
- **Tylor, Edward Burnett (1924),** "primitive culture: researches in to the development of mythology", Edition 2, New York.

التقارير :

- تقرير المنظمة الإفريقية الآسيوية للاسكان (1967).
- تقرير عن الدراسة النفسية الإجتماعية التي قام بها مندوب وزارة المعارف في منطقة حلفا التي ستغمرها مياه السد العالي (مايو،1960)– دار الوثائق القومية.
- تقارير لجنة الإحصاء الخاصة بتهجير أهالي حلفا– دار الوثائق القومية.

المواقع الإلكترونية:

- http://kenanaonline.com/users/YasserMahgoub/posts/572443
- https://ar.wikipedia.org/wiki
- http://rethinkurban.com/2012/places-and-spaces/understanding-urban-forms/
- www.Googleearth.com
- https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/ثقافة/
- https://open.lib.umn.edu/sociology/chapter/3-2-the-elements-of-culture
- https://www.almrsal.com/post/299840
- https://www.ancientcraft.co.uk/Archaeology/stone-age/stoneage_living.html
- https://www.slideshare.net/gayathriselvasegar/human-settlements-78787732
- http://mirathlibya.blogspot.com/2010/07/blog-post.html
- https://www.whitworth.lancs.sch.uk/userimages/Website/Summer%20Revision/Y8/Geog/The%20Maasai%20People.pdf
- https://www.heleninwonderlust.co.uk/2014/02/ethical-tribal-visits/

- http://mirathlibya.blogspot.com/2012/07/
- https://en.wikipedia.org/wiki/Nubian_languages
- www.wikimedia.org
- https://alwan.elwatannews.com/news
- سلسلة حلقات برنامج الوراق مع د. هاشم خليفة
- صفحة على الفيسبوك باسم **النوبة Nubia**.
- صفحة على الفيسبوك باسم **معارف نوبية**.
- صفحة على الفيسبوك باسم **شباب القرية . 12 .حلفا الجديدة**.
- صفحة على الفيسبوك باسم **ذاكرة النوبة**.

المقابلات:

- د. الطيب إدريس القوني رئيس قسم العمارة بجامعة المستقبل.
- د. سليم الزين رئيس قسم العمارة بجامعة المغتربين.
- السيد شرف عبد الجابر مسؤول الشؤون الاجتماعية بمحلية حلفا الجديدة.
- المعمارية فاطمة محمد من القرية 12 اشكيت.
- السيد محمد عبده وحرمه من سكان القرية 12 اشكيت.
- السيد ماهر إبراهيم وابنه من سكان القرية 12 اشكيت.
- السيد جمال محمد صالح وابنته من سكان القرية 12 اشكيت.
- السيد عبد الله محمد خليل من سكان القرية 12 اشكيت.
- السيد محي الدين محمد أحمد وابنته من سكان القرية 12 اشكيت.
- السيد فوزي صادق محمد محمد رمضان وابنه وزوجته من سكان القرية 12 اشكيت.
- السيد حمدي دهب من سكان القرية 12 اشكيت.
- تسنيم إبراهيم حسن خليل (عبر الهاتف) من القرية 1 فرص غرب.